

ترجمة عن الإنكليزية

مجموعة 5 + 1، وإيران ومخاطر سياسة حافة الهاوية في الشأن النووي

I. نظرة عامة

والتخصيب إلى مستويات أعلى وإكمال العمل على منشأة نووية تحت الأرض في فوردو. ومع شعور الطرفين بأنهما قويان نسبياً، فإن أيًا منهما لم يكن في مزاج يدفعه للتنازل.

الجهود المكثفة الذي بذلها الطرفان لزيادة نفوذهما أحدثت أثراً آخر ينطوي على مفارقة. قامت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ببناء تحالف هام – لم يكن حتى وقت قريب من الممكن تشكيله – من البلدان المستعدة لمعاوية إيران بالضغط على القطاع الذي يسبب لها أكثر الضرر وهو القطاع النفطي. وقد أصبح التوصل إلى أي اتفاق على رفع العقوبات أكثر صعوبة نظراً للجهود الكبيرة ورأس المال السياسي المستثمر في فرضها ونظراً لمعرفة أن أي علامة على التراجع يمكن أن تقضي إلى تفكك أكثر شمولاً لنظام العقوبات. وعلى نحو مماثل، فإن إيران دفعت ثمناً باهظاً لقرارها بالتخصيب إلى مستوى 20% والمضي قدماً في بناء منشأة فوردو، حيث أصبحت هدفاً لعقوبات اقتصادية غير مسبوقه وخسرت مبالغ هائلة من الأموال. إن أي تراجع بهذه المسائل كان ينبغي أن يكون مصحوباً بتنازلات غربية كبيرة وإلا فإن المشروع بأكمله سيبدو كما يشك الكثيرون حماقة سياسية واقتصادية. وقد كانت النتيجة النهائية التي نتطوي على مفارقة هي ما يلي: مع مراعاة الطرفين لمزايا بالغة الأهمية وتعزيز موقفيهما النقائضيين، فإن كلاهما يكرهان استعمال النفوذ الذي ضحى بهما والثمين لاكتسابه.

ينتباً كثيرون بأن العملية الدبلوماسية الراهنة ستوقف قريباً جداً مع توقع استئنافها في المستقبل. إلا أن الوقت قد يكون قصيراً. إذا انهارت المفاوضات فإن السوابق تنبئ بأن من المرجح اتخاذ خطوات تصعيدية متبادلة وأن المأزق سيستمر إلى فترة أطول مما كان متوقعاً. في هذه الأثناء، فإن إسرائيل – ومعها بعض السياسيين الأمريكيين النافذين – ستنظر بتربق إلى تحرك عقارب الساعة وزيادة مخزون إيران من اليورانيوم المخصب. إن استعارة الساعة هي استعارة زائفة، حيث ما يزال أمام إيران سنوات قبل أن تتمكن من الحصول على قنبلة، وسيتوافر للولايات المتحدة وإسرائيل أدوات كثيرة، رغم وجود منشأة فوردو، لإيقاف برنامجها النووي إذا اختار ذلك. وقد كانت هذه الصورة السياسية الأكثر ضرراً في التاريخ الحديث. لكن هذا لا يهم، حيث أن مسؤولين إسرائيليين كبار يأخذونها على محمل الجد، وإذا اقتنعوا بأن إيران تحاول كسب الوقت وأن الدول الغربية لا تتحلى بالشجاعة اللازمة لفعل أي شيء حيال ذلك، فإنهم قد يتصرفون أو قد يقنعون واشنطن بالتصرف. يمكن الحديث عن أن الفترة التي تفصلنا عن الانتخابات الأمريكية في تشرين الثاني/نوفمبر هي الأكثر خطورة.

كل هذا يدعو إلى تغيير في التفكير. ينبغي أن يستعمل اجتماع موسكو في 18 حزيران/يونيو كفرصة لفعل ذلك بالتحديد. بداية:

المفاوضات النووية بين إيران والغرب لها حصتها من التوقعات المحيطة، و وفقاً لهذا المعيار الغريب، فإن الجولة الدبلوماسية الأخيرة تمثل علامة بارزة. المفاوضات الذين كانوا مفعمين بالأمل في اسطنبول تملكهم الإحباط في بغداد بعد عدة أسابيع. لم يكن ذلك أمراً غير متوقع بالنظر إلى الآمال المبالغ فيها، والتوقعات المتباينة. وقد كان الأمر الأكثر ضرراً من كل ما عداه هو قناعة كل طرف بأن له اليد العليا. لكن إذا انهارت المفاوضات الآن، فمن الصعب معرفة ما سيحدث بعدها. يبدو أن واشنطن وبروكسل تعولان على أن تحدث العقوبات أثرها وتجبر إيران على التنازل. ويبدو أن طهران تعول على إبداء الرئيس أوباما بعد أن يُعاد انتخابه قدراً أكبر من المرنة وعلى الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها أوروبا والتي ستدفعها للإحجام عن فرض عقوبات يمكن أن يكون لها أثر عكسي عليها. إن أيًا من هذين السيناريوهين غير محتمل الحدوث. بدلاً من ذلك، ومع تلاشي احتمالات التوصل إلى اتفاق، فإن الضغوط الإسرائيلية التي تدفع باتجاه الخيار العسكري قد تتصاعد. بدلاً من الانخراط في سياسة حافة الهاوية، ينبغي على إيران والخمسة الدائمون + ألمانيا أن يتفقوا على مفاوضات مكثفة ومستمرة على المستوى التقني للتوصل إلى اتفاق محدود حول تخصيب إيران لليورانيوم بدرجة 20%.

لقد كان التفاؤل الذي صاحب محادثات اسطنبول مجرد وهم؛ حيث تم قياس التقدم على خلفية نقطة بداية سلبية للغاية تمثلت في غياب المحادثات طوال الخمسة عشر شهراً السابقة وسلسلة من الخطوات التصعيدية من قبل جميع الأطراف في تلك الأثناء. و خلت النقاشات نفسها إلى حد بعيد من السجلات، لكنها كانت أيضاً خالية من المحتوى. لقد أظهر الجميع أفضل ما لديهم من السلوك الحسن لأنهم، تكتيكياً، كانوا جميعاً يتشاطرون هدفاً مشتركاً يتمثل في كسب الوقت وتجنب أزمة من شأنها أن تتسبب في ضربة عسكرية إسرائيلية، وأن تخاطر بمزيد من عدم الاستقرار في المنطقة، ورفع أسعار النفط وبالتالي تعقيد الانتعاش الاقتصادي في أوروبا وإعادة انتخاب أوباما.

المشكلة تكمن في أن الغرب وإيران فسرا المناخ الإيجابي بشكليات مختلفين. كان المسؤولون الأوروبيون والأمريكيون مقتنعين بأن موافقة طهران على التقدم إلى طاولة المفاوضات ولهجاتها غير الصدامية في تلك المحادثات يعودان إلى حقيقتين تتمثلان في الأثر المدمر للعقوبات التي كانت قد فرضت على الاقتصاد الإيراني والأثر أكثر تدميراً للعقوبات التي ستفرض عاجلاً من جهة والتهديدات العسكرية الإسرائيلية من جهة أخرى. كما شعرت الجمهورية الإسلامية بأنها هي التي تتولى القيادة بعد أن عززت موقعها خلال العام السابق بزيادة مخزونها من اليورانيوم منخفض التخصيب،

II. من ضفاف اليوسفور إلى شواطئ دجلة

بعد خمسة عشر شهراً من الركود الدبلوماسي – تميزت بحدوث اغتيالات غامضة، وفرض عقوبات، وأعمال تخريب وتهديدات – استؤنفت المفاوضات بين إيران ومجموعة الخمسة +1 أخيراً في 14 نيسان/إبريل.¹ رغم أن اجتماع اسطنبول تناول العموميات بشكل رئيسي، فإنه دفع إلى بعض التفاوض بإمكانية الوصول إلى اتفاق، مهما كان نطاقه ضيقاً، وبذلك يتم كسب بعض الوقت الثمين للتوصل إلى تسوية دبلوماسية أوسع. إلا أن هذه الآمال سرعان ما انهارت. فقد شكل اجتماع بغداد في 23-24 أيار/مايو تذكيراً جدياً بالعقوبات التي تقف في وجه التوصل حتى إلى تسوية محدودة.

بشكل عام فإن المناخ الإيجابي الذي ساد في أعقاب اجتماع اسطنبول استند إلى تصورات خاطئة متبادلة وتوقعات لا أساس لها. بدأ التناقض بتفسير الطرفين لما كان قد حدث بدقة. من وجهة نظر الشركاء الأمريكيين والأوروبيين، فإن الأسباب التي دعت إيران إلى الموافقة على استئناف المحادثات والتخلي عن شروطها المسبقة السابقة – الاعتراف بحقها بالتخصيب ورفع العقوبات التي شلت حركتها – كانت واضحة تماماً وتتمثل في التكاليف الباهظة للعقوبات التي كانت قد فرضت أصلاً على قطاعي الطاقة والمال الإيرانيين؛ وخوف إيران من العقوبات التي على وشك الدخول في حيز التنفيذ؛ وتهديدات إسرائيل المتكررة بشن الحرب.²

وخلال سرد الأدلة، أشاروا إلى الانخفاض الحاد في صادرات إيران من النفط الخام، ما يشكل انعكاساً للقرار الذي اتخذته بلدان عديدة تحت الضغط الغربي للتخلي عن النفط الإيراني.³ وقد بات من

بدلاً من عقد اجتماعات رفيعة المستوى وذات رهانات مرتفعة على مدار يوم أو يومين ينبغي لإيران ومجموعة الخمسة +1 الاتفاق على محادثات مستمرة على مستوى أدنى إلى حد ما تستمر لبضعة شهور؛

علاوة على ذلك، على الجانبين التخلي عن بعض مطالبهما؛ ما يعني أنه لن يكون هناك رفع كبير للعقوبات في هذه المرحلة، كما أنه من غير المرجح أيضاً أن تغلق إيران منشأة فوردو – وهي المنشأة الوحيدة التي تمتلكها والتي يمكن أن تقاوم ضربة إسرائيلية.

بدلاً من ذلك:

ينبغي أن تكون إيران مستعدة لأن تضع على الطاولة بنوداً من شأنها أن تعالج بجدية وواقعية مخاوف مجموعة الخمسة +1 فيما يتعلق بالانتشار النووي؛ أي أن تعلق التخصيب إلى درجة 20%؛ وأن تحول كامل مخزونها من سداسي فلورايد اليورانيوم المخصب إلى درجة 20% إلى كرات ثاني أكسيد اليورانيوم التي تستعمل في تصنيع الوقود النووي؛ وتجميد تركيب أجهزة الطرد الجديدة في فوردو، والموافقة في نفس الوقت على استعمال المنشأة لأغراض البحث والتطوير فقط والقبول بنظام مراقبة أكثر دقة؛

ينبغي أن تكون مجموعة الخمسة +1 مستعدة لأن تضع على طاولة المباحثات بنوداً تعالج بشكل فعلي المخاوف الإيرانية مثل القبول مقدماً بمبدأ أن باستطاعة إيران التخصيب على أرضها شريطة وجود قيود على مستوى النقاوة وعدد المنشآت، إلى أن يتم إيضاح الأمور بين طهران والوكالة الدولية للطاقة الذرية، والاستثمار في مفاعل بحثي جديد وفي أحدث التقنيات المتعلقة بالطاقات المتجددة في إيران؛ والشروع في شكل من أشكال رفع العقوبات، بما في ذلك واحد أو أكثر من البنود التالية: الامتناع عن فرض عقوبات إضافية، تأجيل دخول الحظر الذي يفرضه الاتحاد الأوروبي على شراء النفط الإيراني (أو، إذا كان قد دخل حيز النفاذ أصلاً، تعليقه) و/أو حظر التأمين على الشركات المالكة للسفن التي تنقل النفط الإيراني؛ وتخفيف الضغوط على ما تبقى من زبائن إيران في مجال النفط.

من المحتمل أن تفشل هذه المحادثات، وعندها سيكون الهدف تجنب جميع أشكال الخطوات التدميرية، بما في ذلك المواجهة العسكرية، الأكثر تدميراً على الإطلاق. لكن قبل الوصول إلى تلك المرحلة، هناك الكثير مما ينبغي فعله لرؤية ما إذا كان بالإمكان إنقاذ ما تبقى من تفاؤل ضئيل تولد في مؤتمر اسطنبول.

¹ لمعلومات مفصلة حول الأحداث التي حدثت بين كانون الثاني/يناير 2011 وشباط/فبراير 2012، انظر

Crisis Group's Middle East and Europe Report N°116, *In Heavy Waters: Iran's Nuclear Program, the Risk of War and Lessons from Turkey*, 23 February 2012.

² مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمريكيين وأوروبيين رفيعين، واشنطن، بروكسل، نيسان/إبريل وأيار/مايو 2012. طبقاً لديفيد كوهين، نائب وزير الخزانة الأمريكية لشؤون الإرهاب والاستخبارات المالية: "لقد باتوا [إيران] معزولين بشكل متزايد – دبلوماسياً، ومالياً واقتصادياً... لا أعتقد أن هناك أي شك في أن أثر هذه الضغوط لعب دوراً في قرار إيران بالموافقة على المشاركة في المحادثات". مقتبس في *واشنطن بوست*، 13 أيار/مايو 2012.

³ طبقاً لخبير إيراني، فإن الحصار النفطي الذي فرضه الاتحاد الأوروبي – والذي سيدخل حيز التنفيذ في 1 تموز/يوليو – قد أحدث أثره بنسبة 85% أصلاً، حيث أن معظم الدول الأوروبية قلصت واردتها من إيران، ووقعت عقوداً جديدة مع مصدرين آخرين للنفط وأعدت معايير مصادفها النفطية وفقاً لذلك. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع بيجان خاجهپور، فيينا، 17 أيار/مايو 2012. رغم أن إنتاج إيران من النفط ظل مستقراً بحدود 3.3 مليون برميل يومياً في نيسان/إبريل، فإنها لم تتمكن من بيع 15 إلى 25% من تلك الكمية، بسبب العقوبات المالية والمشاكل التي تعاني منها في التأمين على شحناتها من النفط، وأجبرت على ضخه إلى حاويات تخزين عائمة. ستمتلى هذه الخزانات خلال شهور، مما سيجبر إيران على إغلاق بعض حقولها. من المحتمل أن تؤدي إعادة إحياء الآبار النفطية القديمة في إيران إلى خسارة 10-14% من الطاقة

والذي وصفها فيها بـ "الخطيئة الكبرى"⁹ - والمديح النادر من قبل المرشد الأعلى للرئيس أوباما، جعل كثيرين في الغرب يعتقدون أن إيران، وفي ظل هذه المشاكل المتعددة، قد تسعى إلى التسوية.¹⁰

بصماته على الملف النووي باتت طاغية الآن. لم يكن هذا هو الحل دائماً. في عام 2003 حصل الرئيس محمد خاتمي على موافقة خامنئي على التعليق الطوعي لجميع أنشطة تخصيب اليورانيوم رغم عدم ثقة المرشد بالنوايا الغربية. في عام 2009، وافق الرئيس محمود أحمدي نجاد مبدئياً على صفقة تبادل إيران بموجها اليورانيوم منخفض التخصيب بفضبان الوقود لاستعمالها في مفاعل طهران البحثي لكنه أجبر على التراجع، بسبب مقاومة خامنئي على ما ذكر. في كلتا الحالتين، كان خامنئي هو صاحب القرار النهائي، لكن عليه أن يناقش الآخرين. خلال السنوات الثلاث الماضية، تم تهميش الإصلاحيين الذين كانوا في مقدمة الانتفاضة الشعبية في أعقاب الانتخابات الرئاسية المتنازع عليها عام 2009، وتم تهميش الرئيس أحمدي نجاد، الذي فقد حظوته لدى المرشد بعد خلاف علني معه عام 2011. نتيجة لذلك، فإن خامنئي يبدو حالياً في موقع يمكنه من اتخاذ جميع القرارات، بعد أن أحكم سيطرته الكاملة على العملية الدبلوماسية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إيراني سابق، واشنطن دي سي، نيسان/أبريل 2012. جدير بالذكر، أن سعيد جليلي، كبير المفاوضين الإيرانيين في الشأن النووي تم تقديمه في محادثات اسطنبول على أنه "ممثل المرشد الأعلى" وليس بوصفه الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني، كما كان الحال سابقاً. انظر James Risen, "Seeking nuclear insight in fog of the Ayatollah's utterances", *The New York Times*, 13 April 2012.

⁹ وأضاف آية الله خامنئي "إن الأمة الإيرانية لم تسع قط ولن تسعى للحصول على الأسلحة النووية. ما من شك في أن صنّاع القرار في البلدان التي تعارضنا يعرفون جيداً أن إيران لا تسعى للحصول على الأسلحة النووية لأن الجمهورية الإسلامية، منطقياً ودينياً ونظرياً، تعتبر امتلاك الأسلحة النووية خطيئة كبرى وتعتقد أن انتشار مثل هذه الأسلحة أمر يُنافي العقل، ومدمر وخطير". مقتبس في برس تي في، 22 شباط/فبراير 2012. طبقاً لعلني أصغر سلطانية، السفير الإيراني في الوكالة الدولية للطاقة الذرية، فإن "إيران مستعدة لمساعدة الغرب على إيجاد حل يحفظ ماء الوجه للخروج من هذه الأزمة. لقد وفرت فتوى المرشد الأعلى فيما يتعلق بالأسلحة النووية إطاراً مثالياً لتحقيق هذا الهدف. إن الشكوك التي تحوم حول الفتوى ليست ذات أهمية. سجلنا واضح. لقد أثبتنا عملياً أننا ضد أسلحة الدمار الشامل، حيث أننا اخترنا أن لا نرد بالمثل على استعمال صدام للأسلحة الكيماوية خلال الحرب الإيرانية العراقية. إضافة إلى ذلك، وحيث أن المرشد الأعلى هو الزعيم الديني والقائد الأعلى للجيش، فإن تنفيذ فتاواه وأوامره أمر إجباري".

مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، فيينا، 16 أيار/مايو 2012. حسن روحاني، كبير المفاوضين الإيرانيين في الشأن النووي سابقاً قال، "هذه الفتوى بالنسبة لنا أهم من معاهدة حظر الانتشار النووي وبروتوكولها الإضافي، وأكثر أهمية من أي قانون آخر". مقابلة مع مجلة مهر ناميه (بالفارسية)، أيار/مايو 2012. لوجهة نظر أكثر تشككاً بأثر وأهمية الفتوى، انظر Michael Eisenstadt and Mehdi Khalaji, "Nuclear Fatwa: Religion and Politics in Iran's Proliferation Strategy", *The Washington Institute for Near East Policy*, Washington DC, September 2011.

¹⁰ امتدح خامنئي تعليقات أوباما دفاعاً عن الدبلوماسية، والتي أطلقها في الاجتماع السنوي للجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (إيباك) في آذار/مارس 2012. قال أوباما، "... لإسرائيل والولايات المتحدة مصلحة في تسوية هذا التحدي دبلوماسياً، في المحصلة، فإن السبيل الوحيد لحل هذه المشكلة بالنسبة للحكومة الإيرانية هو اتخاذ قرار بالتخلي

المتوقع فرض عقوبات أكبر وأهم - خصوصاً العقوبات الأمريكية على المصرف المركزي الإيراني والحظر النفطي الذي سيفرضه الاتحاد الأوروبي، واللذان سيدخلان حيز التنفيذ في 28 حزيران/يونيو و 1 تموز/يوليو على التوالي.⁴ لاشك أن الاقتصاد الإيراني - الغارق في الركود بسبب سوء الإدارة - يعاني وأن قادته، من وجهة نظر واشنطن وبروكسل، كانوا راغبين بوقف هذا النزيف.⁵

مسؤول أمريكي أبدى ارتياحه الواضح قائلاً؛ "إيران أتت إلى المباحثات من موقع الضعف. لقد تلاشت الشروط المسبقة والمحاضرات التي كنا نسمعها في الماضي - إنهم في أمس الحاجة لرفع العقوبات، وقد بدا ذلك واضحاً".⁶ مسؤول أوروبي رفيع عبر عن وجهة نظر مماثلة قائلاً: "لقد كانت العقوبات هي الدافع الأساسي لعودة إيران إلى طاولة المفاوضات. بالنسبة للنظام الإيراني، فإن البقاء هو المهم. القادة في إيران يعرفون أن التغيير الذي طرأ في المنطقة، في بلدان مثل مصر، نجم عن مشاكل اقتصادية. والاقتصاد الإيراني واقع في مشكلة حقيقية الآن".⁷

إن أثر العقوبات، والتهديد بالحرب، وتهميش آية الله خامنئي لجميع خصومه السياسيين المحتملين⁸ وتكرار فتواه ضد الأسلحة النووية -

الإنتاجية للبلاد بسبب تآكل الآبار والأنابيب وفقدان الضغط اللازم. من شأن هذه المشاكل، مصحوبة بضعف استثمار مزمع، أن تُحدث أثراً سلبياً على إنتاج النفط. انظر "Iran: Promise, peril behind Tehran's demand for quick sanctions relief", *Energy Intelligence*, 25 demand James Herron, "IEA: Iran oil exports fall sharply May 2012; in April as sanctions tighten", *The Wall Street Journal*, 11 May 2012.

⁴ فرضت كندا وبريطانيا عقوبات على المصرف المركزي الإيراني في تشرين الثاني/نوفمبر 2011؛ وتبعته الولايات المتحدة في 31 كانون الأول/ديسمبر 2011، عندما وقع الرئيس أوباما قانون مخصصات الدفاع الوطني الأمريكي للعام المالي 2012 (P.L. 112-81). البند 1245 يحظر النفاذ إلى النظام المالي الأمريكي بالنسبة للبلدان التي تستمر في تمرير المدفوعات عبر المصرف المركزي الإيراني؛ ويطبق على المعاملات غير النفطية مع المصرف المركزي الإيراني بعد سنتين يوماً من صدوره (أي 29 شباط/فبراير 2012) والمعاملات النفطية بعد 180 يوماً (أي 28 حزيران/يونيو). بوسع الرئيس تعليق هذا البند من حيث تطبيقه على المصارف الأجنبية لفترة 180 يوماً قابلة للتجديد إذا صادق على أن بلد المصرف قد قلص مشترياته النفطية من إيران بشكل كبير. كما يمكن للرئيس أن يعلق فرض العقوبات لفترة 120 يوماً قابلة للتجديد على أساس اعتبارات الأمن القومي. انظر Kenneth Katzman, "Iran Sanctions", Congressional Research Service, 23 April, 2012.

الاتحاد الأوروبي أعلن حظر شراء النفط الإيراني في 23 كانون الثاني/يناير 2012 وسيدخل هذا الحظر حيز التنفيذ في 1 تموز/يوليو، وهو يحظر أيضاً التأمين على شحنات النفط الإيراني. نص قرار المجلس الأوروبي متوافر على الموقع <http://eur-lex.europa.eu>.

⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع اقتصادي إيراني، دبي، نيسان/أبريل 2012؛ ومسؤول أوروبي، بروكسل، أيار/مايو 2012.

⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، نيسان/أبريل 2012.

⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بروكسل، أيار/مايو 2012.

⁸ رغم أن المرشد الأعلى، بوصفه صاحب القرار النهائي في الدولة بشأن السياسات الداخلية والخارجية، وهو الذي يضع أجندتها النووية، فإن

إيران قدمت المحادثات بوصفها دليلاً على أن إستراتيجيتها هي الإستراتيجية الصحيحة. وقدم مسؤولوها صورة مطابقة لتلك التي قدمها المسؤولون الغربيون، بشرحهم أن تجدد اهتمام الغرب بالعمل الدبلوماسي كان ناشئاً عن الضعف، أي عن الحاجة الماسة إلى خفض أسعار النفط وتجنب مواجهة عسكرية قبيل الانتخابات الرئاسية الأمريكية ووسط أزمة اقتصادية غير مسبوقة في أوروبا.¹¹

"الاختلاف الرئيسي بين اسطنبول 15¹ واسطنبول 2 هو أن إيران باتت في موقع أفضل بكثير. لقد اكتسبت إيران اليد العليا بتحقيق تقدم بإنتاجها يورانيوم مخصب إلى درجة 20%، وتدشين محطة توليد الطاقة النووية في بوشهر وأصبحت تعتمد على نفسها في تصنيع قضبان الوقود لمفاعل إيران البحثي". زد على ذلك أن برنامجنا النووي بات محمياً أكثر في منشأة فوردو [تحت الأرض]، التي بنيت نتيجة الخطاب العدائي والتهديدات الإسرائيلية والأمريكية.¹⁶

بعبارة أخرى، ورغم أن استعدادها لاستئناف المباحثات قد يكون مدفوعاً بدرجة كبيرة برغبتها بتأجيل العقوبات أو زرع إسفين بين الولايات المتحدة والبلدان الأوروبية من جهة والصين وروسيا من جهة أخرى، فإن ذلك لا ينبغي أن يُفهم أنه يساوي اليأس أو الاستعداد لتقديم التنازلات حول القضايا الرئيسية.

كما يبدو أن افتراضات إيران حول الغرب، وخصوصاً الولايات المتحدة، أحادية الجانب. لا يبدو أن هناك شك بأن الإدارة تعارض بقوة توجيه ضربة إسرائيلية في هذه اللحظة، لأسباب جوهرية (الولايات المتحدة غير مقتنعة بأن العقوبات استنفدت فائدتها؛ وغير مقتنعة بحجة إسرائيل أن برنامج إيران النووي يدخل بسرعة في ما يسمى بمنطقة المناعة؛ ولديها مخاوف حول أثر الضربة العسكرية) ولأسباب سياسية – يمكن أن تؤدي الحرب إلى ارتفاع كبير في

الواقع أكثر تعقيداً مما يرغب كلا الطرفين بإظهاره. من وجهة نظر تكتيكية، فإن طهران وواشنطن وبروكسل لديها مصلحة بشراء الوقت وتجنب حدوث أزمة على المدى القصير. ومن الواضح أن العقوبات قد أحدثت أثرها، وهناك الكثير من السوابق التي تشير إلى قدوم إيران إلى طاولة المفاوضات وحتى إظهار بعض المرونة قبل فرض جولة جديدة من العقوبات.¹² وفي نفس السياق، فإن الإدارة الأمريكية عازمة على تجنب ضربة إسرائيلية في الشهر القادم؛ وفي غياب أي تقدم على الجبهة الدبلوماسية، من المرجح أن تتزايد الضغوط من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. بروكسل أيضاً، وفي مواجهة انهيار اقتصادي في اليونان وربما في أماكن أخرى، لا تستطيع تحمل تصاعد التوترات حول برنامج إيران النووي في هذا الوقت.

إلا أن الضعف واليأس الذي عزاه كل طرف إلى الطرف الآخر كان مبالغاً به كثيراً وأدى إلى استنتاجات خطيرة ومضللة. كما أشارت مجموعة الأزمات، لم يكن هناك دليل على أن العقوبات يمكن أن تؤثر بالخيارات الإستراتيجية الأساسية لظهران. زد على ذلك، ومن وجهة نظر المرشد الأعلى علي خامنئي، فإن الاستسلام للعقوبات أكثر خطورة من تحمل تبعاتها.¹³ علاوة على ذلك، فإن من شبه المؤكد أن

عن الأسلحة النووية. هذا ما يخبّرنا به التاريخ. زد على ذلك، فأنا كرئيس وكقائد أعلى للجيش الأمريكي أفضل السلام على الحرب. ... هناك أصلاً الكثير من الكلام غير المسؤول عن الحرب". ملاحظة الرئيس في مؤتمر إيباك بشأن السياسات، المكتب الإعلامي في البيت الأبيض، 4 أيار/مايو 2012. طبقاً لموقع المرشد الأعلى على الإنترنت، فإن خامنئي رد على خطاب أوباما بالقول، "هذا كلام جيد ويشير إلى مخرج من حالة الوهم، إلا أنه حذر من أن "الرئيس الأمريكي استمر بالقول بأنه يريد أن يُرغم الشعب الإيراني من خلال العقوبات، وهذا جزء من خطابه يُظهر استمرار الوهم في هذه القضية". Scott Peterson, "Iran offers rare praise for 'the Great Satan'", *Christian Science Monitor*, 8 March 2012.

11 "چرا امريکا با خشاب خالی به ميز مذاکره ايران و 1+5 ميايد؟" "Why the U.S. comes to the negotiating table with an empty gun?"

Raja News, 10 April 2012 "چرا نیاز غرب به مذاکره بیشتر از ایران است؟" "Why the West needs negotiations more than Iran does?" Fars News Agency (in Persian), 23 May 2012. ¹² في عام 2010، وعشية اجتماع مجلس الأمن للنظر في جولة جديدة من العقوبات، وافقت إيران على اتفاق تبادل معدل بتبادل بموجبه اليورانيوم المنخفض التخصيب الموجود لديها بقضبان وقود لاستعمالها في مفاعل إيران البحثي. تم التفاوض على الصفقة من قبل تركيا والبرازيل. انظر

Crisis Group Report, *In Heavy Waters*, op. cit. ¹³ محمد علي فايز، سفير إيران في الإمارات العربية المتحدة، قال، "في تصميمه لنظام العقوبات، أظهر الغرب أنه غير قادر على فهم أن إيران

دولة فريدة من نوعها. بلد بحجم إيران وتاريخه التجاري العريق لا يمكن عزله عن العالم. لإيران خمسة عشر جاراً على حدودها البرية والبحرية. ما من بلد يمتلك خمس عشرة بوابة على العالم. إن مقارنة إيران مع دول صغيرة وجزر [كوريا الشمالية وكوبا] أمر مضلل. أمتنا فريدة. لقد تغلب شعبنا على العديد من العواصف في الماضي، خصوصاً من خلال تجربة حرب الثمان سنوات [ضد العراق] وأصبح أكثر مناعة واعتماداً على الذات. لقد قلل الغرب باستمرار من قدرة الأمة الإيرانية على التحمل والصمود". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أبو ظبي، 19 نيسان/أبريل 2012. لمناقشة لأثر العقوبات، انظر

Crisis Group Report, *In Heavy Waters*, op. cit. ¹⁴ يدعي بعض الإيرانيين صراحة بأنهم كانوا يسعون لكسب الوقت ويؤجلون المواعيد النهائية باستمرار، وبذلك يرسخون "وقائع جديدة على الأرض" والتي تصبح تدريجياً مشروعة. حميد رضا تراغي، وهو سياسي إيراني محافظ، شرح قائلاً إنه "دون انتهاك أي قوانين دولية أو معاهدة منع الانتشار، تمكنا من تجاوز خطوط حمر وضعها الغرب لنا. لقد تمكنا من الحصول على حقوقنا. كل ما تبقى هو النقاش حول نسبة التخصيب". انظر

Thomas Erdbrink, "Iran sees success in stalling on nuclear issue", *The New York Times*, 14 May 2012.

¹⁵ الاجتماع الذي جرى في اسطنبول بين مجموعة الخمسة +1 وإيران في 22 كانون الثاني/يناير 2011 وانتهى إلى طريق مسدود.

¹⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، فيينا، 16 أيار/مايو 2012.

من حيث الجوهر، فإن الفجوات ظلت واسعة بالطبع. حتى مع إشارة طهران إلى أنها يمكن أن تتخذ بعض التدابير فيما يتعلق بتخصيب اليورانيوم إلى درجة 20%، فإن الولايات المتحدة أوضحت بأنها تتوقع أكثر من ذلك بكثير؛ أي ليس فقط الوقف الكامل لإنتاج اليورانيوم المخصب إلى درجة 20% وشحن جميع المخزونات الموجودة من ذلك الوقود خارج البلاد، بل أيضاً الإغلاق الفوري لمنشأة فوردو وتفتيحها، وهي موقع التخصيب الذي تم بناؤه تحت جبل قرب قم.²⁰

اللهجة الإيجابية جداً التي نجمت عن المفاوضات كانت مضللة إلى حد ما؛ فقد ظلت النقاشات على مستوى رفيع جداً من العموميات، ولم تتم معالجة أي من القضايا الإشكالية. رغم ذلك، فإن حقيقة أنه تم الاتفاق على عقد اجتماع آخر، في بغداد في 23 أيار/مايو، تسبقه محادثات تحضيرية بين النواب، اعتبر مشجعاً.

وقد هيا البيان الختامي للاجتماع المناخ للخطوات التالية:

لقد اتفقنا على أن معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية تشكل أساساً جوهرياً لما ينبغي أن يكون انخراطاً جدياً، لضمان تحقيق جميع الالتزامات التي تنص عليها المعاهدة من قبل إيران، وفي نفس الوقت احترام حق إيران بالاستعمال السلمي للطاقة النووية. الآن نريد الانتقال إلى عملية مستدامة من الحوار الجاد، حيث نستطيع اتخاذ خطوات عملية عاجلة لبناء الثقة تُفضي بدورها إلى وفاء إيران بجميع التزاماتها الدولية. وفي جهودنا لتحقيق ذلك الهدف، سيكون دليلاً مبدأ الخطوة خطوة والمعاملة بالمثل.²¹

ب. انقطاع العملية الدبلوماسية

استمر مناخ التفاؤل هذا لبعض الوقت بعد انتهاء المحادثات.²² ووصفها الطرفان بأنها "بناءة ومفيدة" وقالوا إن المناخ السائد من شأنه

أسعار النفط وإلحاق الضرر بالاقتصاد الأوروبي، وتشكيل تهديد جدي لفرص إعادة انتخاب الرئيس. لكن من المؤكد أنه سيكون من قبيل سوء قراءة الموقف الأمريكي الافتراض بأنها ستعارض (أو تستطيع أن تعارض) توجيه ضربة عسكرية مهما كان الثمن، حتى قبل انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر. في غياب أي احتمال لتحقيق تقدم دبلوماسي، وإذا انخرطت إيران في سلوك تعتبره واشنطن استفزازياً، فإن الولايات المتحدة قد لا تتمكن من مقاومة الضغوط الإسرائيلية وقد تصل إلى استنتاج مفاده أنه ينبغي عليها أن تتولى القيادة عسكرياً.

أ. الجولة الأولى من المفاوضات في اسطنبول

في الفترة التي سبقت اجتماع اسطنبول، انخرط الجانبان في حملة من إرسال الرسائل العلنية. أشارت إيران إلى اتخاذها موقفاً أكثر إيجابية، وعبرت عن أملها في إمكانية إيجاد تسوية شاملة للأزمة،¹⁷ وكذلك الاستعداد لتقليص (إلى حد ما) برنامج تخصيب اليورانيوم فيها؛¹⁸ وكما أوردنا أعلاه، فإن خامنئي أيضاً كرر فتواه ضد امتلاك واستعمال الأسلحة النووية وامتدح أوباما. وعلى نحو مماثل فإن الولايات المتحدة عبرت عن أملها وتفضيلها الشديد للعمليات الدبلوماسية، زد على ذلك، يُذكر أن أوباما لجأ إلى وسطاء لإيصال رسالة إلى طهران أن برنامجاً نووياً مدنياً إيرانياً سيكون مقبولاً إذا أكد المرشد الأعلى على تعهده بـ "عدم السعي للحصول على أسلحة نووية".¹⁹

¹⁷ وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحى كتب: "إذا كانت الغاية من الحوار هي مجرد منع صراع بارد من التحول إلى صراع ساخن، بدلاً من تسوية الخلافات، فإن الشكوك ستبقى قائمة. لن يتم تأسيس الثقة. رغم العقوبات، والتهديدات بالحرب، واغتيال عدد من علمائنا وأشكال أخرى من الإرهاب، فإننا اخترنا البقاء ملتزمين بالحوار. في المفاوضات القادمة، نأمل أن جميع الأطراف سيعودون إلى طاولة المفاوضات كأطراف متساويين يظهران الاحترام المتبادل؛ وأن يكون جميع الأطراف ملتزمون بالحوار الشامل بعيد المدى والذي يهدف إلى معالجة جميع المخاوف العالقة لجميع الأطراف؛ والأكثر أهمية من ذلك، أن يبذل جميع الأطراف جهوداً حقيقية لإعادة بناء الثقة". Ali Akbar Salehi, "Iran: We do not want nuclear weapons" *The Washington Post*, 12 April 2012.

¹⁸ في أيلول/سبتمبر 2011، كان الرئيس أحمددي نجاد قد أشار إلى استعداد إيران لوقف عملية تخصيب اليورانيوم إلى درجة 20% مقابل الحصول على تلك المادة من الخارج. انظر Nicholas Kristof, "An interview with Mahmoud Ahmadinejad", *The New York Times*, 21 September 2011. قبل بضعة أيام من اجتماع اسطنبول، أشار فريدون عباسي، رئيس هيئة الطاقة الذرية الإيرانية إلى أن إيران كانت مستعدة لقصر عمليات التخصيب لديها على 5% حالما تتم تلبية احتياجات مفاعل طهران البحثي من الوقود المخصب إلى درجة 20%. وقال إن أنشطة تخصيب اليورانيوم الأخرى ستهدف إلى إنتاج الوقود لمفاعلات توليد الطاقة، والتي تتطلب مستويات أدنى من النقاء. انظر Brian Murphy, "Iran offers possible nuclear compromise", *The Boston Globe*, 10 April 2012.

¹⁹ ذُكر أن هذه الرسالة الشفوية نُقلت إلى خامنئي قبل أيام من اجتماع اسطنبول من قبل رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، الذي زار طهران بعد اجتماعه مع الرئيس أوباما في سيؤول. David

Ignatius, "Obama's signal to Iran", *The Washington Post*, 5 April 2012.

²⁰ انظر David Sanger and Steven Erlanger, "U.S. defines its demands for new round of talks with Iran", *The New York Times*, 7 April 2012.

²¹ البيان الذي أصدرته مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون نيابة عن مجموعة 3+3 في أعقاب المفاوضات مع إيران، اسطنبول، 14 نيسان/إبريل 2012، متوافر على الموقع

http://www.consilium.europa.eu/uedocs/cms_Data/docs/pressdata/EN/foraff/129535.pdf. Jalili's statements after the meeting were published by the *Kayhan* newspaper, "مذاكرات با رويكرد گام به گام ايستگاه بعدي بغداد [Negotiations will continue on a step-by-basis, next stop Baghdad]", 15 April 2012.

²² كما ردت الأسواق إيجابياً على انخفاض حدة التوتر حول برنامج إيران النووي. انخفض سعر النفط، وارتفعت قيمة العملة الإيرانية مقابل الدولار.

Chris Khan, "Oil prices fall on easing tensions over Iran", Associated Press, 16 April

بالتخصيص على أراضيها.²⁶ المفاوضات الإيرانية السابق حسين موساويان ، وصف قائمة أطول من الانجازات:

كان اجتماع نيسان/إبريل 2012 في اسطنبول مختلفاً عن المفاوضات السابقة من خمس نواح مختلفة. أولاً، وافقت مجموعة 1+5 على استئناف المفاوضات دون أية شروط مسبقة، مثل تعليق التخصيص. ثانياً، حددوا أن معاهدة حظر الانتشار النووي، وليس قرارات مجلس الأمن التي تطلب من إيران تعليق التخصيص والتي تعتبرها إيران غير شرعية، هي التي تشكل إطار المفاوضات. ثالثاً، بدلاً من المطالبة بتنازلات أحادية، وافقت مجموعة 1+5 على أن التنازلات ينبغي أن تكون متبادلة. رابعاً، الإقرار بأن انعدام الثقة متبادل. أخيراً وليس آخراً، الالتزام بالمفاوض على خطة تدريجية ذات هدف نهائي واضح. وقد كان هذا مختلفاً تماماً عن مقاربة المسار المزدوج وهو ما أراده إيران دائماً.²⁷

رغم أن المزاج كان أكثر رصانة في واشنطن وبروكسل إلا أنه كان إيجابياً أيضاً. وجد المفاوضون الغربيون نظراءهم الإيرانيين أكثر مرونة وبرغماتية – وهو موقف، من وجهة نظرهم، مدفوع بالكامل تقريباً بالأثر الذي أحدثته العقوبات – والذي يعتقدون بأنه يمكن أن يكون مباشراً للمفاوضات التالية.²⁸ وقد عبروا عن رضى خاص إزاء حقيقة أن سعيد جليلي، كبير المفاوضين النوويين الإيرانيين، لم يخترط في استعراض المواقف أو تكرار الشروط المسبقة، وعلى نحو مماثل، فإنهم رحبوا بأنه ركز على الملف النووي بدلاً مما يعتبره الغرب قضايا ثانوية، مثل التعاون الهادف إلى تحقيق الاستقرار في أفغانستان أو مكافحة تهريب المخدرات والقرصنة البحرية.²⁹

²⁶ على حد تعبير السفير السلطانية، فإن "الاعتراف بحقنا النووية كان تحركاً إيجابياً يظهر أنهم أدركوا أخيراً بأننا لن نتخلى عن حقوقنا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع سلطانية، فيينا، 16 أيار/مايو 2012. مسؤولون أمريكيون وأوروبيون يرفضون هذا التفسير بقوة ويشيرون إلى أن معاهدة حظر الانتشار النووي لا تعترف بحق أي دولة بالتخصيص بل بحقها بالحصول على الطاقة النووية للأغراض المدنية. كما يقولون إن إيران خسرت أي حق بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي نتيجة انتهاكاتها السابقة، وأنها بحاجة أولاً لاستعادة الثقة قبل أن تتمكن من التمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها الموقعون الآخرون على المعاهدة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمريكيين وأوروبيين، أيار/مايو 2012.

²⁷ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات، برينستون، 18 نيسان/إبريل 2012. Laura Rozen, "Iranian hard-liners send positive signals on talks", Al Monitor, 26 April 2012.

²⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي رفيع، واشنطن دي سي، نيسان/إبريل 2012.

²⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، 17 نيسان/إبريل 2012. بن روتز، نائب مستشار الأمن القومي الأمريكي، قال: "نعتقد أن [اجتماع اسطنبول] كان خطوة إيجابية إلى الأمام اليوم؛ وأن القضايا الحقيقية كانت على جدول الأعمال؛ وأنه جرى نقاش للبرنامج النووي الإيراني؛ وأنه تم إظهار جدية الأهداف من قبل الإيرانيين والمجتمع الدولي. والآن ما نقوم به هو بناء أجندة تتقدم إلى الأمام والتخطيط لجملة من الاجتماعات التي ستضمن اجتماعات تقنية ومن ثم اجتماعات إضافية لمجموعة 1+5 والإيرانيين في وقت لاحق من

أن يُفضي إلى نتائج إيجابية.²³ المسؤولون الإيرانيون، بدايةً باللاعبين السياسيين الرئيسيين وانتهاءً بالأئمة في خطبهم في صلاة الجمعة، أصدروا تصريحات بناءة.²⁴ كما كان عرض وسائل الإعلام لما رشح عن مفاوضات اسطنبول غير مسبوق لمناسبة من هذا النوع.²⁵ بالنسبة للكثيرين، فإن حملة الرسائل هذه بدت وكأنها جهد منسق ومصمم لتهيئة الرأي العام للتسوية. صورت إيران الجولة الأولى من المفاوضات على أنها انتصار، مشيرة إلى إنجازات هامة. من بين هذه الإنجازات، فإن أكثرها أهمية من وجهة نظر إيران كان الاعتراف في البيان الختامي بأن أساس المفاوضات سيكون معاهدة حظر الانتشار النووي، التي فسرتها إيران كاعتراف بحقها

روز پس "از" مذاكرات 2012 ؛ "سازنده" اتمى "Price of US dollar and gold coins reduced after constructive nuclear negotiations", BBC Persian (in Persian), 16 April 2012.

²³ قال جليلي، "لقد شهدنا تقدماً. كان هناك اختلافات في الآراء، إلا أن النقاط التي اتفقتنا عليها كانت هامة". وعلقت آشتون قائلة: "نتوقع أن الاجتماعات التالية ستفضي إلى خطوات ملموسة نحو حل تفاوضي شامل يستعيد الثقة الدولية بالطبيعة السلمية حصرياً للبرنامج النووي الإيراني". Fredrik Dahl and Justyna Pawlak, "Iran, big powers agree – to keep talking", Reuters, 14 April 2012.

²⁴ علي أكبر ولايتي، مستشار المرشد الأعلى للسياسة الخارجية ووزير الخارجية الأسبق قال، "لقد اتخذ الغرب خطوات إيجابية في اجتماع اسطنبول وأدرك أن استعمال التهديدات ضد إيران لا يُجدي نفعاً". مقابلة مع ولايتي، Khabaronline (in Persian), 20 April 2012.

نيسان/إبريل 2012. آية الله أحمد علم هدى كان من بين أئمة المساجد الذين وصفوا اجتماع اسطنبول بأنه انتصار لإيران. "مذاكرات 1+5 در استانبول برای کشورمان یک پیروزی بود [Negotiations with the P5+1 was a victory for our country"] Mehr News Agency, 21 April 2012.

²⁵ معظم الجرائد وصفت الاجتماع بأنه إنجاز للدبلوماسية الإيرانية وضع الأساس لمزيد من التقدم في المستقبل. انظر "دورنمای مثبت مذاكرات ايران 1+5. Positive prospects of negotiations between Iran and the P5+1", Press TV, 15 April.

به گام ايستگاه بعدي، 2012 ؛ "بغداد [Negotiations will continue on a step-by-basis, next stop Baghdad"] Kayhan News Paper (in Persian), 15 April 2012.

مذاكرات « 1 لطفاً « و « بايد « تفاوت [The difference between 'must' and 'please' in negotiating with Iran]، Iranian Students' News Agency (in Persian), 24 April 2012.

الوحيد كان الجريدة التي تصدرها حكومة أحمدى نجاد، التي اتهمت خصومها السياسيين (بشكل أساسي القوة المقربة من الرئيسين السابقين رفسنجاني وخاتمي) بإدارة المفاوضات من خلف الكواليس. انظر "مرز بندي شفاف احمدی نژاد با هاشمی [Ahmadinejad's clear demarcation from Hashemi]، Iran Emrooz (in Persian), 24 April 2012.

من قبل أولئك المقربين من الرئيس لإطلاق الانتقادات العلنية للمفاوضات في محاولة لتخريبها بعد أن كانوا قد هُمشوا إلى حد بعيد"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع اسكندر صادقي – بوروجيردي، مجموعات أبحاث أكسفورد، لندن، 28 نيسان/إبريل 2012.

أعطى أمانو ضمانات على أن هذه العقبة ستتم إزالتها. وبدا أن الإعلان عن أن إيران والوكالة اقتربتاً من توقيع اتفاق صمم عمداً للترامن مع البداية المزمنة لاجتماع بغداد.

لكن تبين أن هذا المناخ وروح النوايا الطيبة هذه مؤقتة وأنت سلسلة من التصريحات بسرعة لتفوض الثقة، وتلقي بظلال من الشك على إطار الخطوة المتفق عليها وعلى المقاربة التبادلية. في إيران، أعاد المسؤولون طرح موضوع أقدم من خلال الإصرار على الحاجة لرفع العقوبات. وزير الخارجية علي أكبر صالحى أكد على أن "إيران مستعدة لتسوية جميع القضايا النووية في الجولة التالية من المفاوضات مع القوى العالمية إذا بدأ الغرب برفع العقوبات".³³ وتم التعبير عن نفس المطلب من قبل شخصيات نافذة أخرى.³⁴

كان رد الفعل الأمريكي والأوروبي سلبياً على الطلب الإيراني،³⁵ حتى مع قراءتهم له على أنه مصادقة على رؤيتهم بأن طهران باتت قلقة على نحو متزايد من أثر العقوبات.³⁶ في هذه الأثناء، ونظراً

البلد الوحيد الذي عبر عن عدم رضاه عن الاجتماع كان إسرائيل، الذي قال رئيس وزرائه بأن إيران مُنحت "هدية مجانية"، وأن باستطاعتها الاستمرار في تخصيب اليورانيوم خلال فترة الأسابيع الخمسة بين المفاوضات في اسطنبول وبغداد دون أن تتلقى أية عقوبة أو تتعرض لأية ضغوط للتوقف.³⁰

في تطور مشجع آخر، استأنفت إيران المفاوضات مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في 14-15 أيار/مايو بهدف تسوية القضايا العالقة ومعالجة الأسئلة التي طرحتها الوكالة فيما يتعلق بالأبعاد العسكرية المحتملة للبرنامج النووي للجمهورية الإسلامية.³¹ تبع ذلك زيارة إلى طهران قام بها مدير الوكالة، يوكيا أمانو، في مؤشر آخر على تحقيق التقدم. في حين أن الجولتين الأخيرتين من المفاوضات في مطلع عام 2012 انتهتا إلى طريق مسدود بسبب اعتراض طهران على تفتيش موقع عسكري مشكوك به في بارشين،³² وهذه المرة

أيار/مايو. وهكذا فإن هذه القضايا ليست من النوع الذي يحل باجتماع واحد، لكننا نعتقد بأننا وضعنا المسار الذي نستطيع بوساطته إعطاء الدبلوماسية التزاماً جدياً وراسخاً في سعينا لتسوية هذه القضية العالقة، مقتبس في "Statements after First Diplomatic Meeting with Iran", U.S. Institute of Peace (USIP) Iran Primer website, 15 April 2012.

Herb Keinon, "Netanyahu: Istanbul talks gave Iran a 'freebie'", *Jerusalem Post*, 15 April 2012. فوراً على الانتقادات الإسرائيلية بالقول إن الولايات المتحدة لم "تتخل عن شيء" لإيران في اسطنبول، وأن مجموعة I+5 كانت واضحة مع إيران حول أهداف المفاوضات. أسوشيتد برس، 15 نيسان/إبريل 2012.

³¹ في تشرين الثاني/نوفمبر 2011، نشرت الوكالة الدولية للطاقة الذرية وثيقة تتكون من ثلاثة عشر صفحة وصفت مخاوف الوكالة بشأن البرنامج النووي الإيراني. ولمعالجة هذه القضايا، سعت للوصول إلى المواقع، والعلماء والوثائق التي شككت بأنه قد يكون لها علاقة بالعمل على الأسلحة النووية. رغم أن إيران غير ملزمة بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي بالسماح للوكالة بزيارة المنشآت غير النووية، فإن الوكالة بنت طلبها على قرارات مجلس الأمن التي تطلب من إيران التعاون التام معها. انظر Jay Solomon and David Crawford, "An interview with IAEA's Yukiya Amano", *The Wall Street Journal*, 9 June 2012. رداً على ذلك، شككت طهران بصحة الوثائق التي تشير إلى القيام بأعمال نووية عسكرية وطلبت ضمانات من الوكالة بأن تتوقف نهائياً عن تحقيقاتها بمختلف الأنشطة النووية إذا تعاونت طهران معها. انظر Mark Hibbs, "Iran and the IAEA Talk Again", *Carnegie Endowment for International Peace*, 12 May 2012. على النقيض من مجموعة I+5، التي ركزت على وقف تخصيب إيران لليورانيوم لدرجة 20% وإغلاق منشأة التخصيب في فوردو، فإن الاهتمام الرئيسي للوكالة الدولية للطاقة الذرية هو احتمال وجود بعد عسكري للبرنامج النووي الإيراني. مسؤول رفيع في الوكالة قال، "إن أنشطة التخصيب الإيرانية تخضع ل ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ولم يتم اكتشاف أي انحراف عن هذا المسار. علاوة على ذلك، فإن مفتشي الوكالة يزورون فوردو أسبوعياً. هناك جملة من المشاكل المتشابهة بين إيران والوكالة، لكن يمكن تسويتها بسرعة إذا تعاونت إيران بشكل كامل وبطريقة منهجية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، فيينا، 17 أيار/مايو 2012.

³² تنامت المخاوف حول الأنشطة الجارية في موقع برشين بشكل كبير بين شباط/فبراير وأيار/مايو 2012، حيث أشارت صور جديدة للأقمار

الصناعية ومعلومات استخبارية إلى عمليات تنظيف كانت جرت لإزالة الأدلة المتعلقة باختبارات لانفجارات كبيرة يمكن أن تكون قد استعملت في تفجيرات نووية. رفضت إيران الاتهامات بأنها كانت قد "طهرت" الموقع بأنها "نكتة". Fredrik Dahl, "IAEA worried about activities at Iran site", Reuters, 29 February 2012; George Jahn, "Drawing focuses on Iran's nuke work", Associated Press, 17 May 2012; Fredrik Dahl, "Image shows buildings gone at Iran site: diplomats", Reuters, 30 May 2012. Marcus George, "Iran says ready to resolve nuclear issues", Reuters, 16 April 2012.

³⁴ طبقاً لأية الله أحمد جنتي، رئيس مجلس صيانة مصلحة النظام، "يجب أن يرفع الغرب العقوبات المفروضة على جمهورية إيران الإسلامية بحيث تصدق الأمة الإيرانية أن [القوى الغربية] لا تسعى لاستمرار عداوتها. إذا أصرت [القوى الغربية] على العقوبات ومن ثم قالت بأنها ستفاوض مع إيران، فمن الواضح أن مثل تلك المفاوضات سيتم إلغاؤها". مقتبس من قبل وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية، 20 نيسان/إبريل 2012. غلام علي حداد عادل، أحد المستشارين المقربين من المرشد الأعلى والرئيس السابق للبرلمان، قال، "على الأقل، نتوقع رفع العقوبات". مقتبس من قبل وكالة أنباء الطلبة الإيرانية، 2 أيار/مايو 2012. انظر أيضاً وكالة الصحافة الفرنسية، 19 أيار/مايو 2012.

³⁵ رداً على بيان صالحى، قالت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون، "أنا أؤمن باتخاذ إجراء مقابل إجراء لكنني أعتقد أنه في هذه الحالة فإن عبء العمل يقع على الإيرانيين كي يُظهروا جديتهم ونحن سنبقي على العقوبات وعلى الضغوط على إيران خلال فترة تفكيرهم... فيما سيحضره إلى طاولة المفاوضات في بغداد وسنرد طبقاً لذلك". رويترز، 16 نيسان/إبريل 2012. فيلي سوندال، وزير خارجية الدنمارك، التي تشغل الرئاسة الدولية للاتحاد الأوروبي، قال، "أعتقد أنه سيكون خطراً جداً أن ننشئ حالة نقول فيها للإيرانيين إننا قد نرفع جزءاً من العقوبات. إنهم (الإيرانيون) أبطال العالم في جعل مفاوضات طويلة جداً لا تؤدي إلى أي مكان". رويترز، 16 نيسان/إبريل 2012. طبقاً لمسؤول أمريكي رفيع: "نحن نفهم أن على الإيرانيين أن يظهروا أنهم حصلوا على بعض المكاسب مقابل تنازلاتهم، ونحن مستعدون لمنحهم الحوافز. إلا أن هذه الحوافز لن تتضمن رفع العقوبات". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، نيسان/إبريل 2012.

³⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

ج. الاجتماع الثاني في بغداد

تلاشت الآمال من تحقيق تقدم بسرعة مع اجتماع المفاوضين في بغداد حيث لفهم غمامة من الرمال. بدت الفجوة بين الطرفين واضحة للعيان في الجلسة العلنية الأولى. عاد الإيرانيون إلى وضعهم المألوف. وذكر أن جليلي رفض التركيز على الملف النووي وحده وأصر أيضاً على الاعتراف بزيادة تعاون بلاده مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية والاعتراف الصريح بحقها بالحصول على الطاقة النووية للأغراض السلمية بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي. ويُذكر أنه قدم رزمة "شاملة" تتكون من خمس نقاط تغطي المسائل النووية وغير النووية. وذكر أيضاً أن العرض الإيراني تضمن، بين أشياء أخرى، زيادة التعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ووضع سقف للتخصيب يتمثل بـ 5%، والمشاركة في كونسورتيوم دولي للأنشطة النووية والتعاون في القضايا الأمنية الإقليمية مثل الوضع في سورية والبحرين.⁴³

تتفاوت تفسيرات التصلب في الموقف الإيراني. طبقاً للبعض، فإن القيادة الإيرانية أدركت أنها بطرح قضية العقوبات في اسطنبول، فإنها أكدت فكرة الغرب بأن الضغوط تؤدي ثمارها؛⁴⁴ وكان هناك حاجة لمقاربة أكثر تصلباً لإظهار أن طهران لم تكن تتصرف من موقع الضعف. آخرون خمنوا أنهم بظهورهم بمظهر موقف الحريص على التوصل إلى اتفاق في اسطنبول، فإن مجموعة I+5 كانت قد ساعدت بتعزيز ثقة إيران؛ وعلى حد تعبير مسؤول فرنسي، فإن:

الإيرانيين شعروا بأننا كنا فعلاً نريد التوصل إلى اتفاق، وبالتالي استنتجوا أن بوسعهم التمسك. ولهذا فقد عادوا إلى أسلوبهم وخطابهم القديمين، ووضعوا مطالباً مبالغاً فيها على الطاولة وذهبوا إلى حد إجراء نقاشات حول حقوق الإنسان في البحرين – وبكل جدية! – لانتهاكات حقوق الإنسان من قبل أطراف ثالثة في سورية. في هذه الإثناء، كانوا مستعدين لتقديم الحد الأدنى من التنازلات حول التخصيب إلى مستوى 20%.⁴⁵

(in Persian), 22 May 2012.

⁴³ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو

2012. John

Tirman and Abbas Maleki, "Iran nuclear talks: What to do in Moscow", Huffington Post, 11 June 2012.

مجموعة I+5 قال، "نحن مهتمون بالتحدث حول القضايا الإقليمية مع

إيران لكن ليس على حساب القضية النووية. القضايا غير النووية ينبغي أن تكون حاشية مرفقة بالنقاشات النووية وليس العكس". مقابلة هاتفية

أجرتها مجموعة الأزمات، بغداد، 23 أيار/مايو 2012.

⁴⁴ لقد كانت هذه هي وجهة نظر المسؤولين الإسرائيليين، على سبيل

المثال، الذين جادلوا بأن الإيرانيين أدركوا بأن التأكيد على العقوبات في اسطنبول كان قد كشف ضعف موقفهم. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات

مع مسؤول عسكري، القدس، 7 حزيران/يونيو 2012. كما أن بعض

المسؤولين الأمريكيين قالوا إن الإيرانيين توصلوا إلى استنتاج مفاده أنهم أخطؤوا بطرح قضية العقوبات في الفترة الفاصلة بين جولتي المفاوضات

ولذلك فإنهم لم يطرحوها في بغداد. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع

مسؤول أمريكي، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁴⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أيار/مايو 2012.

لاقتناع الإدارة الأمريكية بأن العقوبات الاقتصادية تمثل مفتاح الحصول على تنازلات إيرانية، وتحت ضغوط داخلية كي تتشدد في موقفها، فإن الإدارة ضغطت على البلدان المستوردة للنفط الإيراني لتقليص مشترياتها بدرجة أكبر³⁷ وفرضت عقوبات على موردي التقنيات المستعملة في قمع المعارضة في إيران وسورية؛ واستهدفت أولئك الذين انتهكوا العقوبات على البلدين.³⁸ ووافق مجلس الشيوخ الأمريكي على مزيد من العقوبات عشية اجتماع بغداد.³⁹

من وجهة نظر الأمريكيين والأوروبيين، فإن من المفترض أن تتخذ إيران الخطوات الأولى للتغلب على الشكوك القائمة. مسؤول أمريكي قال، "عبء الدليل يقع على الإيرانيين. هم الذين يديرون برنامجاً نووياً سرياً. نحن سنخرب في عملية تدريجية خطوة خطوة، إلا أن أفعالنا لن تكون بالضرورة مساوية لأفعالهم".⁴⁰ بالنسبة لتعليق أو تأجيل حظر استيراد النفط الذي يبدأ سريان مفعوله في تموز/يوليو، عبر مسؤول أوروبي عن موقف واضح أيضاً بأن العتبة مرتفعة: "ما لا يبدو أن الإيرانيين يدركونه هو أننا لا نفرض عقوبات إضافية عليهم في 1 تموز/يوليو. هذه العقوبات فُرضت في كانون الثاني/يناير الماضي، ولا بد أن نرى الكثير من الجانب الآخر كي يكون التأجيل مبرراً".⁴¹ رداً على ذلك، حذر المفاوض الإيراني سعيد جليلي من أن "زمن إستراتيجية القوة قد ولى" وعبر عن أمله بأن الغرب "سيتخلى عن إستراتيجياته العقيمة" وبدلاً من ذلك أن يركز على "التعاون في القضايا الإقليمية، والدولية والنووية".⁴²

³⁷ "Obama praises Japan for limiting imports of Iranian oil", Platts, 1 May 2012. "U.S. wants to wean India off Iran's oil", United Press International, 7 May 2012. طبقاً لمسؤول أمريكي رفيع، "إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق، فإن مسار الضغوط في سياستنا ذات المسارين سيستمر ويتجاوز 1 تموز/يوليو 2012. هناك الكثير من الاحتمالات الأخرى لزيادة الضغط". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، نيسان/إبريل 2012.

³⁸ Peter Baker, "U.S. sets new sanctions against technology for Syria and Iran", The New York Times, 23 April 2012. Samuel

Rubinfeld, "White House targets Iran, Syria sanctions evaders", The Wall Street Journal, 1 May 2012..

³⁹ توسع هذه الرزمة نطاق العقوبات لتغطي أية تعاملات مع شركة النفط الوطنية الإيرانية وشركة الناقلات الوطنية الإيرانية، إذا اعتبرت تابعة أو مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني. انظر رويترز، 22 أيار/مايو 2012.

⁴⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، نيسان/إبريل 2012.

⁴¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أوروبي، بروكسل،

أيار/مايو 2012.

⁴² وتابع جليلي قائلاً: "[الغرب] ينبغي أن يكون أكثر حذراً في التصريحات والأيدي الحسابات لأن ما سينتهي ليس وقت المفاوضات بل الضغوط على الشعب الإيراني. لا شك في أن مزيداً من الضغوط على الأمة الإيرانية سيؤدي إلى مقاومة أكبر". مقتبس في Tohid

Atashbar, "Resistance economy, Iran's agenda to curb sanctions", Tehran Times, 17

May جليلي: مذكرات بغداد نقطه آغازى بر پايان راهبردهاى بى

نتيجه 5+1 است ["Jalili: The negotiations in Baghdad are the beginning of the end of P5+1 futile strategies"], Fars

News Agency

الزمن، وغير شامل وغير متوازن"،⁵¹ فيما عبر مسؤولون غربيون عن شكوك قوية في احتمال التوصل إلى اتفاق. وجهة النظر هذه – غير البعيدة عن السطح – وهي أن إيران لن تكون مستعدة لتقديم تنازلات جذبة وأنها كانت تسعى فقط لكسب الوقت، وتأجيل العقوبات وزرع الانقسامات بين أعضاء مجموعة I+5 عادت إلى البروز مجدداً.⁵² مسؤول أمريكي عبر عن تشاؤمه العميق حيال المستقبل:

ربما لن تنتهي اجتماعات موسكو بالفشل، لأن لا أحد يريد أن يُنْفَر الروس، ولذلك فإن من المحتمل أن نرى ذوباناً للجليد مرة أخرى. لكن بعد ذلك، من المحتمل أن ننهي هذه المرحلة من العملية، وننتظر عقوبات تموز/يوليو وأثارها ثم نأمل بأن تظهر إيران قدراً أكبر من المرونة.⁵³

ما تلا من تصريحات عزز التفاوت في التوقعات. وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون أعلنت أن العقوبات ستظل مفروضة، في حين أكد مسؤول إيراني على أن العقوبات ستقلص من احتمالات التوصل إلى حلٍ تفاوضي.⁵⁴ جدير بالذكر أن العلاقات بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية تدهورت في نفس الوقت، مع اتهام طهران للوكالة باتباع سياسة مدفوعة استخباراتياً⁵⁵ وتراجعت عن التزامها بتوقيع اتفاق معها لتحقيق قدر أفضل من النفاذ إلى المنشآت موضع الشك ومعالجة القضايا العالقة. كما ألقى فشل المحادثات بين إيران والوكالة في 6 حزيران/يونيو بمزيد من الظلال على محادثات موسكو.⁵⁶ ما أضفى مزيداً من انعدام اليقين على اجتماع موسكو، هو

يُذكر أن مجموعة I+5 وضعت طلباً من ثلاثة فروع: أن توقف إيران التخصيب إلى مستوى 20%؛ وأن تتخلص من مخزونها من اليورانيوم المخصب إلى درجة 20% في عملية تبادل جديدة؛ وأن تغلق منشأة فوردو. ومقابل ذلك تلتزم المجموعة بعدم فرض عقوبات جديدة. كما عرضت تسهيل حصول إيران على قطع تبديل الطائرات، وتوفير الوقود لمفاعل إيران البحثي وتوسيع التعاون فيما يتعلق بالسلامة النووية.⁴⁶

بصرف النظر عما إذا كان أحد الجانبين أو كلاهما منخرطان في تكتيكات تفاوضية، فإن النتيجة النهائية كانت سلبية كما هو متوقع. القضية الوحيدة التي اتفق عليها الطرفان كانت أنهما سيتجمعان مرة أخرى في موسكو في 18-19 حزيران/يونيو⁴⁷ - وقد حصل هذا فقط لأن المفاوضات علقوا في بغداد ليوم إضافي وبالتالي كان لديهم الوقت للتوصل إلى هذا الاتفاق.⁴⁸ سعى جنلي لتصوير الحصيلة بشكل إيجابي فوصف المحادثات بأنها "مكثفة وطويلة... ومفصلة إلا أنها لم تنته"،⁴⁹ وقدمت آشتون وصفاً مماثلاً.⁵⁰ إلا أن وكالة الأنباء الحكومية الإيرانية، إيرنا، وصفت المقترح المقابل بأنه "تجاوزة

⁴⁶ كان العرض غير كريم بشكل متعمد – ويمكن للبعض أن يقول غير واقعي – وعلى الأرجح كان الحركة الأولى فيما رأت فيه مجموعة I+5 على أنها عملية مفاوضات مطولة.

⁴⁷ اقترحت إيران بغداد مرة أخرى كمكان للاجتماع، إلا أن مجموعة I+5 لم تكن متحمسة بسبب الصعوبات اللوجستية. ثم اقترح الإيرانيون عواصم كازاخستان، أو الصين أو روسيا. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي رفيع، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁴⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، واشنطن دي سي، أيار/مايو 2012.

⁴⁹ Andrew Quinn and Justyna Pawlak, "Iran, big powers agree to hold more nuclear talks in June", Reuters, 24 May 2012.

⁵⁰ قالت آشتون، "تبقى مجموعة 3+3 [وهي طريقة أخرى لوصف مجموعة I+5] ثابتة وواضحة وموحدة في مسعاها للتوصل إلى حل دبلوماسي لمخاوف المجتمع الدولي حول الطبيعة السلمية بشكل حصري للبرنامج النووي الإيراني، استناداً إلى معاهدة حظر الانتشار النووي، والتنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن ومجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية... وانسجاماً مع اتفاقنا في اسطنبول، فإن مجموعة 3+3 وضعت مقترحات واضحة لمعالجة القضية النووية الإيرانية، وخصوصاً جميع الأوجه المتعلقة بالتخصيب إلى مستوى 20%. كما أننا وضعنا أفكاراً على الطاولة حول الخطوات المتبادلة التي سنكون مستعدين لاتخاذها. أعلنت إيران استعدادها لمعالجة قضية التخصيب إلى مستوى 20%

ووضعت خطة من خمس نقاط، متضمنة تأكيدهم على اعترافنا بحقهم في التخصيب... ومن الواضح أن كلانا نريد تحقيق تقدم، وأن ثمة أرضية مشتركة لذلك. إلا أنه لا يزال هناك خلافات كبيرة. رغم ذلك، فإننا نتفق على الحاجة لمزيد من النقاشات لتوسيع تلك الأرضية المشتركة". "بيان كاترين آشتون، الممثل الأعلى للشؤون الخارجية والسياسات الأمنية في الاتحاد الأوروبي ونائب رئيس المفوضية، في أعقاب محادثات 3+3"، 24 أيار/مايو 2012، على الموقع

http://www.consilium.europa.eu/uedocs/cms_Data/docs/pres.sdata/EN/foraff/130417.pdf.

⁵¹ دبلوماسي إيراني قال لصحيفة أمريكية: "هذا ما كنا نخشاه... لن يقبل أحد بهذه الأمور بهذه الطريقة. نسبة الـ20% وإغلاق منشأة فوردو، مقابل لا شيء؟ لا شيء؟" انظر Scott Peterson, "Hopes fade for progress at Iran nuclear talks in Baghdad", *The Christian Science Monitor*, 23 May 2012. حسين موساويان، المفاوضات الإيرانية النووي السابق، وصف المطالب الغربية بوقف التخصيب إلى درجة 20% وعمليات التفتيش الأكثر تديقاً للوكالة الدولية للطاقة الذرية مقابل قطع غيار الطائرات بأنها عبارة عن "طلب الماس مقابل الفستق". مقابلة مع كريستيان أمبور من السي ان ان، 23 أيار/مايو 2012.

⁵² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول رفيع في الاتحاد الأوروبي، بروكسل، أيار/مايو 2012.

⁵³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، أيار/مايو 2012.

⁵⁴ قالت كلينتون: "الذي وضعنا لأرضية هذه المباحثات، فإننا سنبتقي على الضغوط كجزء من مقاربتنا ذات المسارين. ستظل جميع عقوباتنا قائمة وستستمر في التحرك إلى الأمام خلال هذه الفترة"، رويترز، 24 أيار/مايو 2012. المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، رامين ميهمان بارسات، ذكر أن "هذه المقاربة التي تستند إلى الضغوط والتي ترافق المفاوضات لن تحقق شيئاً. لا ينبغي أن تدخل هذه البلدان المفاوضات بمثل هذه الأوهام وسوء التفسير. لديهم تصوراتهم الخاطئة وهذا سيمنعهم من التوصل إلى اتفاق سريع وبناء... ينبغي الاعتراف بحقوقنا في امتلاك دورة الوقود النووي للأغراض السلمية... ولن نتخلي عن هذه الحقوق". رويترز، 29 أيار/مايو 2012.

⁵⁵ Jonathan Trione, "Iran casts nuclear inspectors as spies in envoy's defiant speech", Bloomberg, 6 June 2012.

⁵⁶ Fredrik Dahl, "U.N. nuclear watchdog, Iran fail to reach deal on probe", Reuters, 8 June 2012. من وجهة نظر طهران، فإن التسوية الأخيرة لمشاكلها مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية تعتمد على نتائج الدبلوماسية ريفية المستوى مع مجموعة I+5. سفير إيران في

III. الخطوات التالية

أن إيران ومجموعة 1+5 تناز عتا حول قضية المباحثات التحضيرية، التي أصر الإيرانيون على أنها ضرورية واعتبرتها مجموعة 1+5 لا ضرورة لها.⁵⁷

أ. لعبة بوكر عالمية ذات رهانات مرتفعة

في الحد الأدنى، عكست الاجتماعات الأولية رغبة مشتركة بتجنب حدوث أزمة وكسب بعض الوقت بينما يتم استكشاف ما إذا كان من الممكن التوصل إلى اتفاق. كما انعكس في مقاربة الخطوة خطوة، اتفق الطرفان فيما يبدو على أن الاتفاق الوحيد الممكن في هذه المرحلة كان اتفاقاً متوازناً - يعالج المخاوف والاهتمامات الناشئة عن تخصيص إيران لليورانيوم إلى درجة 20% (لا بد من ملاحظة أن هذه المخاوف حديثة المنشأ وظهرت بعد بداية الأزمة النووية فقط منذ أن بدأت طهران بالتخصيب على ذلك المستوى من النقاوة عام 2010). رغم ذلك ليس من الواضح أبداً ما إذا كان من الممكن لهذه العملية التفاوضية أن تكون مستدامة بالنظر إلى الفجوات الكبيرة بين الطرفين، وإذا كانت كذلك فإلى متى ستستمر وإذا لم تكن كذلك، فما الذي سيحل محلها. من منظور الولايات المتحدة على وجه الخصوص، فإن انهيار المفاوضات سيبرز بشكل أكثر وضوحاً مسألة الضربة العسكرية، سواء كانت إسرائيلية أو أمريكية أو مشتركة.

طبقاً للتعريف الحالي للعملية فهي تعاني من تناقضين داخليين. أولاً، يمكن المجادلة بأن ما جعل استئناف المحادثات ممكناً هو ما يشكل عقبة رئيسية أمام نجاحها. لقد قضى الطرفان الأشهر القليلة الماضية يسعيان لتعزيز موقفيهما بانتظار المفاوضات. استثمرت الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين رأس مال سياسي كبير في تشكيل تحالف هام يتكون من دول مستعدة لفرض عقوبات كانت قبل وقت ليس بالطويل غير واردة على الإطلاق. كما رأينا، فإن هذه البلدان تبقى مقتنعة بأن هذا كان السبب الرئيسي الذي دفع إيران إلى طولة المفاوضات. إيران، من جهتها، كرست طاقاتها لتخصيب اليورانيوم على مستويات أعلى وإتمام بناء منشأة فوردو - وتحقق كل ذلك بكلفة اقتصادية كبيرة في ضوء العقوبات التي نجمت عنها. يمكن المجادلة بأن الطرفين كانا مستعدين لاستئناف المحادثات فقط لأنهما شعرا بأنهما كانا قد عززا موقفيهما التفاوضيين بشكل كافٍ.

رغم ذلك، وحيث أنهما بذلا تلك الجهود ودفعاً ثمناً باهظاً، فإن أيًا منهما ليس مستعداً لخسارة ما حققه. بالنسبة لإيران، فإن إغلاق منشأة فوردو سيعني التخلي عما يشكل العقبة الرئيسية أمام شن ضربة إسرائيلية أحادية.⁵⁸ وعلى نحو مماثل، فإن كمية الـ 100 كيلوغرام التي تشكل مخزون اليورانيوم المخصب إلى درجة 20% تم الحصول عليها بكلفة فلكية، في ضوء نظام العقوبات الذي فرض بعدها. لا تستطيع إيران إغلاق منشأة فوردو كما لا تستطيع التخلي عن اليورانيوم المخصب إلى درجة 20% دون أن تحصل على تنازل رئيسي بالمقابل؛ ومن غير المرجح أن يحقق تبادل تلك الكمية مع قضبان وقود تلك الغاية.⁵⁹ وبطريقة مماثلة، فإن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي يُحجمان عن الرفع الجزئي لنظام العقوبات، حيث

الوكالة قال، "إيران مستعدة لتسوية القضايا العالقة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بموجب مقاربة منهجية. وبشكل هذا جهداً كبيراً بالنسبة لإيران، حيث أن تسوية هذه المسائل يتطلب الذهاب أبعد من معاهدة حظر الانتشار النووي وحتى البروتوكول الإضافي. إننا نتوقع مجموعة 1+5 أن ترد بالمثل على مبادرتنا. في المحصلة، فإن الغرب هو الذي أطلق هذه الادعاءات ضد إيران، وبالتالي فإنه ينبغي أن يدفع ثمن حل هذه القضايا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، فيينا، 16 أيار/مايو 2012.

⁵⁷ انظر نيويورك تايمز، 8 حزيران/يونيو 2012. علي باقري، نائب المفاوض الإيراني، تبادل مع نظيرته في مجموعة 1+5، هيلغا شميد، عدة رسائل فيما يتعلق بالاجتماعات التحضيرية لوضع مسودة جدول أعمال لمحادثات موسكو. سعى الإيرانيون لعقد اجتماع للخبراء على مستوى النواب، إلا أن مجموعة 1+5 اعتبرت مثل ذلك الاجتماع غير مثمر بالنظر إلى الطبيعة السياسية للمشاكل. انظر نيويورك تايمز، 8 حزيران/يونيو 2012؛ رويترز، 10 حزيران/يونيو 2012. في المحصلة، وخلال مكالمات هاتفية بين أستون وجليبي في 11 حزيران/يونيو، اتفق الطرفان على معالجة اهتمامات كل منهما في موسكو. رويترز، 11 حزيران/يونيو 2012.

⁵⁸ Amos Yadlin, "Israel's last chance to strike Iran", *The New York Times*, 29 February 2012.

⁵⁹ مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع حسين موساويان، برينستون، 18 نيسان/أبريل 2012.

فقد أشار بعض المسؤولين الغربيين إلى أن من المستحيل إجراء رفع جزئي لها في هذه المرحلة، لكن من الممكن النظر بتأجيل العقوبات الأمريكية والأوروبية المزمع فرضها شريطة موافقة إيران على الخطوات الثلاث المبينة أعلاه والهادفة إلى إيقاف تخصيب اليورانيوم متوسط المستوى.⁶³ إلا أن هذا أيضاً ليس مؤكداً.⁶⁴

وثانياً، بالتنازل لاحقاً. إلا أن هذه ليست هي وجهة نظر الأغلبية في الإدارة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، أيار/مايو 2012. لقد تبنت فرنسا تقليدياً الخط الأكثر تشدداً، حيث جادلت بأنه لا ينبغي للغرب أن يعدل موقفه الآن خشية تشجيع إيران. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين فرنسيين، 2010-2011. وما يزال الأثر المحتمل لانتخاب فرانسوا هولاند رئيساً لفرنسا على هذا الموقف غير واضح. يعتقد المحللون الإيرانيون أن باريس قد تتبنى الآن موقفاً أكثر ليونة تجاه إيران مما فعلته في ظل حكم الرئيس ساركوزي. كما يجادل البعض أنه بما أن الانتعاش الاقتصادي يمثل الأولوية القصوى لهولاند، فإنه قد يكون أكثر إجمالاً عن الموافقة على حظر استيراد النفط الإيراني. انظر

خواهد تاتير ايران و 1+5 مذكرات + 5بر جگونه اولاند "بيروزي
[“What is the effect of Hollande’s victory on P5+1 negotiations with Iran?”], Nuclear Iran website
(www.irannuc.ir), 7 May 2012.

من المحتمل ألا تكون فرنسا متشددة الآن كما كانت في ظل حكم ساركوزي، إلا أن التوقعات الإيرانية تبدو مبالغاً بها. دبلوماسي فرنسي جادل قائلاً: "ثمة تناغم بين موقفي هولاند وأوباما فيما يتعلق بالسياسة المتخذة حيال إيران. لن يكون هناك سياسة فرنسية منفردة، ولم يعد هناك مخاوف أمريكية كما كان في الماضي من أن ساركوزي قد ينسحب من مجموعة 1+5 إذا اختلف مع المجموعة، على سبيل المثال، على الاعتراف بحق إيران بالتخصيب إلى درجة 3.5%. هذا لا يعني أن فرنسا ستوقف عن لعب دور (الشرطي السيء). ما تزال باريس أكثر تعنتاً من واشنطن فيما يتعلق بالقبول بمستويات منخفضة من التخصيب". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أيار/مايو 2012.

⁶³ بالنسبة لإسرائيل، فإن الطلب الأكثر أهمية من بين مطالب مجموعة 1+5 الثلاثة يتعلق بفرودو. بالفعل، فإن المسؤولين الإسرائيليين قلقون من أن مجموعة 1+5 يمكن أن توافق على صفقة تشمل الجزئين الأول والثاني (إنتاج وتخزين اليورانيوم المخصب إلى درجة 20%). من وجهة نظرهم، فإن هذا لن يمس الوجه الأكثر خطورة لبرنامج إيران للتخصيب وفي نفس الوقت ينزع الشرعية عن أي ضربة عسكرية وقائية محتملة. مسؤول عسكري إسرائيلي قال، "لسبب رئيسيين، ليس هناك معنى لمجرد وقف التخصيب إلى درجة 20% والتخلص من المخزون: أولاً، ما يزال بوسع الإيرانيين أخذ مواد مخصبة إلى درجة 3.5% وتخصيبها إلى درجة 20%. ثانياً، فإن مثل هذه الصفقة تعطي إيران الوقت الكافي لإنتاج كميات أكبر من اليورانيوم المخصب إلى درجة 3.5%. وسيكون هذا بمثابة إعطاء دواء ضد الصداع لشخص يعاني من سرطان الرئة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 7

حزيران/يونيو 2012.
⁶⁴ مسؤول أوروبي قال، "على الإيرانيين أن يفهموا أنه ليس هناك آلية بحيث تصفق بيدك فتتأجل العقوبات. لقد كان صعود هذا الجبل صعباً للغاية بالنسبة لنا. ونزوله أيضاً سيكون صعباً. ينبغي أن تتخذ الدول الأوروبية الـ 27 القرار بالإجماع، والمشكلة هي أن الاتفاق على إلغاء العقوبات أقل مما كان على فرضها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بروكسل، أيار/مايو 2012. يتمتع أوباما بصلاحيات تعليق العقوبات على المصرف المركزي الإيراني لاعتبارات الأمن القومي، لكنه يمكن أن

يعرف كلاهما مدى الصعوبة التي واجهتهما في فرضها في المقام الأول ومدى السرعة التي يمكن أن يتفكك بها نظام العقوبات عند أول علامة على تخفيفها.⁶⁰

تفسر هذه الديناميكية إلى حد كبير وجهات النظر المتباينة للطرفين. إن الحد الأدنى الذي تسعى القيادة الإيرانية إلى تحقيقه هو الاعتراف بـ "حقوقها غير القابلة للتصرف" بالحصول على الطاقة النووية لأغراض سلمية، والتي تساوي من وجهة نظرها الحق في تخصيب اليورانيوم على أراضيها. وفي نفس السياق، فهي تعتقد بوجود رفع العقوبات جزئياً كي تكون تنازلاتها مبررة. أي شيء أقل من ذلك سيبدو وكأنه علامة ضعف، ويمكن أن يشجع الغرب على ممارسة مزيد من الضغوط وقد يكون تبريره صعباً للجمهور الإيراني. حتى عندئذٍ، من غير المرجح أن توافق على إغلاق منشأة فرودو.

بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، فإن الخطوات التي تتطلبها طهران تمثل تنازلات كبيرة. بداية، وكما رأينا أعلاه، فإن القوى الغربية لا تسلّم بأن من حق إيران التخصيب على أراضيها؛⁶¹ حتى على فرض أنهم سيكونون مستعدين لمنح ذلك لإيران كامتياز، فإن الكثيرين مقتنعون بأن ذلك ينبغي أن يحدث عند نهاية العملية التفاوضية، وليس في بدايتها.⁶² فيما يتعلق بالرفع الجزئي للعقوبات،

⁶⁰ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمريكيين وأوروبيين، أيار/مايو 2012.

⁶¹ كما تمت ملاحظته، فإن الحكومات الغربية لا تعتبر أن هناك حقاً راسخاً بالتخصيب، بل أن انتهاكات إيران السابقة لالتزاماتها بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي تحرم إيران من التمتع بنفس حقوق الأطراف الأخرى الموقعة على المعاهدة. ولذلك فإن مجموعة 1+5 تعتبر الاعتراف بحقوق إيران بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي مرهونة بحصولها على سجل نظيف من الوكالة الدولية للطاقة الذرية. رغم ذلك، فإن الولايات المتحدة وآخرين أشاروا إلى أنه حالما يتحقق ذلك الشرط فإنهم سيقبلون بوجود برنامج تخصيب محدود وخاضع لمراقبة مشددة في إيران. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أمريكيين وأوروبيين، أيار/مايو 2012. انظر أيضاً، Paul Richter، "U.S. signals major shift on Iran nuclear program"، *Los Angeles Times*, 17 April 2012. وزيرة الخارجية كلينتون قالت للجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب: "لقد كان موقفنا هو أنه وتحت شروط صارمة جداً، يمكن لإيران في وقت ما من المستقبل، وبعد أن تكون قد استجابت لمخاوف المجتمع الدولي وأوقفت بشكل نهائي برنامجها للأسلحة النووية، سيكون لها ذلك الحق [بالتخصيب] وأن يخضع برنامجها لتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية". انظر Peter Crail، "U.S. position on Iran enrichment: more public recognition than policy shift"، *Arms Control Now*, 30 April 2012.

⁶² لقد جادلت مجموعة الأزمات دائماً بأنه ينبغي تقديم مقترح واقعي لإيران يُنهى هذه القضية، يتضمن قدرتها على التخصيب على أراضيها. انظر

Crisis Group Middle East Report N°18, *Dealing with Iran’s Nuclear Program*, 27 October 2003.

يبدو المسؤولون الغربيون منقسمين حول هذه النقطة. مسؤول أمريكي رفيع كان موقفه أن مجموعة 1+5 ينبغي أن تضع مثل هذا المقترح على الطاولة، قائلاً: "إيران تعرف بشكل أساسي أننا في النهاية سنقبل في أن يقوموا بالتخصيب على أراضيهم. وهكذا فماذا نكسب من منعهم من ذلك؟ سندفع ثمن ذلك مرتين: أولاً، بإعاقه التقدم في المفاوضات الآن،

يعتقدون أن أوباما ينتظر أن يُعاد انتخابه كي يقدم لإيران تنازلات أكثر معنى.⁶⁸

المشكلة هي أن الوقت هو بالتحديد الذي تدّعي إسرائيل أنها لا تملكه – ليس لأن إيران ستكون قريباً في موقع يمكنها من إنتاج سلاح نووي، بل لأن إسرائيل تعتقد أنها قريباً لن تعود في موقع يمكنها من وقفها.⁶⁹ إذا انهارت المفاوضات هذا الصيف،⁷⁰ وإذا تبين أنها مجرد استعراض لملء الوقت إلى أن يحين موعد انتخابات تشرين الثاني/نوفمبر، فمن الممكن أن تقرر إسرائيل توجيه ضربة، أو تكثيف ضغوطها على الولايات المتحدة للقيام بذلك. على حد تعبير مسؤول أمريكي سابق:

إدارة أوباما في أزمة. لقد تبنت مقارنة الخطوة خطوة التي تتطلب تحقيق التقدم كي تكون مستدامة. إذا لم يتم تحقيق تقدم، فإنه لن يكون لدى الإدارة ما تظهره ولن تتمكن من الاستمرار في المفاوضات من أجل المفاوضات. ماذا ستقول لنتنياهو عندها؟⁷¹

الأكثر من ذلك، أن تاريخ المفاوضات مع إيران يبين أن الوصول إلى طريق مسدود يتبعه عادة فترات طويلة من الشلل الدبلوماسي والتصعيد. في عام 2005، عندما أخفقت البلدان الأوروبية بالرد بالمثل على موافقة طهران بتعليق تخصيب اليورانيوم وفتح أبوابها أمام عمليات التفتيش الصارمة لمنشآتها النووية، اتجهت الأحداث إلى مسار أسوأ. عندما استأنفت أجهزة الطرد المركزي دورانها، وافق مجلس الأمن على العقوبات. وحدثت نفس الديناميكية عام 2009، عندما تراجع إيران عن موافقتها على تبادل اليورانيوم المخضب بقضبان الوقود؛ وشهدت الفترة التي تلت ذلك مساراً تصاعدياً، حيث فرض الغرب عقوبات جديدة، وقامت إيران بتخصيب اليورانيوم إلى مستويات أعلى. فشل المفاوضات عام 2011 في اسطنبول مهد الطريق لخمسة عشر شهراً من الخطاب المتشدد، والتهديد، والعقوبات والاعتقالات قبل أن تستأنف المفاوضات أخيراً.⁷²

إضافة إلى ذلك، فإن الأثر الذي سيحدثه مثل هذا التأجيل يبقى أيضاً موضع جدل. رغم أنه سيرسل رسالة مشجعة لإيران بأن العقوبات يمكن أن ترفعه،⁶⁵ فإن حظر استيراد النفط بات أصلاً بحكم الأمر الواقع، ومن الصعب تخيل استئناف البلدان الأوروبية شراء النفط الإيراني بعد أن فطمت نفسها عنه. كما أن العقوبات التي تفرضها الولايات المتحدة على الأطراف الثالثة التي تتعامل مع المصرف المركزي الإيراني تساوي فعلياً حظراً للنفط من حيث أنها تجعل الدفع مقابل المشتريات من النفط الإيراني عملية صعبة للغاية – وفي حالة بعض البلدان، قد تجعل المقايضة هي الخيار الوحيد الممكن. من وجهة نظر طهران، قد تتمثل إحدى الخطوات الهامة في تأجيل الحظر الأوروبي على تأمين الحماية والضمانات على نقل النفط الإيراني؛ حيث كما رأينا فإن فرضه يمكن أن يحدث أثراً مدمراً على تجارة إيران العالمية بالنفط.

التناقض الثاني الكامن في جوهر العملية يتعلق بعامل الوقت. تميز افتتاح الاجتماعات في بغداد بعرض مواقف غير واقعية من قبل الطرفين، مما يبرر توقع عمليات مساومة أكثر جدية في المستقبل. مسؤول أمريكي رفيع قال، "لو كنت إيرانياً، لرفضت أيضاً الصفقة التي عرضت في بغداد. نحن كنا ن فكر بأن نبدأ بمثل ذلك العرض. السؤال هو إلى أي حد سنكون مستعدين للذهاب في موسكو" ⁶⁶ رغم التعبير عن تشاؤمهم بشكل عام، فإن المسؤولين الغربيين يأملون أنه بحكم وجود البعد النهائي المتمثل في 1 تموز/يوليو لفرض العقوبات الأوروبية، فإن إيران يمكن أن تبدي قدراً أكبر من المرونة؛ وإذا لم تفعل ذلك، يجادلون بأنه ينبغي منح بعض الوقت للعقوبات كي "تحدث أثرها" قبل أن يختبروا مرة أخرى ما إذا كانت طهران قد أصبحت أكثر قبولاً بالتسوية.⁶⁷ بالمقابل، فإن العديد من المسؤولين الإيرانيين

يواجه انتقادات حادة من الكونغرس وخصوصاً من الجمهوريين قبيل انتخابات رئاسية بالغة الدقة. سيكون بحاجة للإشارة إلى خطوات إيرانية هامة جداً – وأن يحظى بدعم إسرائيل بهذا الصدد. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، واشنطن دي سي، أيار/مايو 2012.

⁶⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع محلل للشؤون الإيرانية، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁶⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁶⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012. بعض الإيرانيين يشكون بأن هذا عبارة عن طعم أمريكي: "إن المفاوضات مع إيران توفر للولايات المتحدة فرصة لكسب الوقت إلى أن تشعر إيران بالوطة الكاملة للعقوبات، وتحرز استعداداً دولياً أكبر، وتعزز قبضتها على الوضع في الشرق الأوسط... الولايات المتحدة تعتقد بأن العقوبات الدولية ستبدأ بإظهار أثرها على إيران في العام القادم وأن إيران ستراجع تحت ضغط العقوبات. وإلا، فهم يجادلون بأن الظروف الداخلية في الولايات المتحدة والظروف الإقليمية ستتحسن أكثر من أجل منح الفرصة للولايات المتحدة للعمل في مناخ أكثر ملاءمة". Ali Abdullah-Khani, "What happens after Baghdad talks: Scenarios and solutions", Iranreview.org, 3 June 2012.

⁶⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول إيراني سابق، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁶⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول عسكري، القدس، 7

حزيران/يونيو 2012. انظر أيضاً Crisis Group Report, *In Heavy Waters*, op. cit., pp. 11-12. حجة إسرائيل حول دخول إيران "منطقة حصانة" يرفضها المسؤولون الأمريكيون الذين يجادلون أنه حتى لو لم تكن إسرائيل قادرة على تدمير فوردو، فإنها يمكن أن تلحق ضرراً كبيراً بقدرته التشغيلية وبالبنية التحتية النووية الأوسع. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁷⁰ يجادل المسؤولون الأمريكيون والإسرائيليون بأن موسكو قد تكون الجلسة الأقرب إلى الأخيرة في المفاوضات في هذه السلسلة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁷¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

⁷² انظر تقارير مجموعة الأزمات السابقة، على وجه الخصوص، Crisis Group Report, *In Heavy Waters*, op. cit.; Crisis Group Asia Briefing N°100, *The Iran Nuclear Issue: The View from Beijing*, 17 February 2010; Crisis Group Middle East Report N°51, *Iran: Is There a Way Out of the Nuclear Impasse?*, 23

من معاهدة حظر الانتشار، مما يزيد في سرعة التخصيب إلى درجة 20% أو حتى التخصيب على مستويات أعلى.⁷⁸ رغم أن بوسع إيران دائماً أن تجد مبرراً لهذه الأنشطة – مثل تخزين الوقود للمفاعلات التي ستبنيها في المستقبل أو التخصيب على مستويات أعلى لإنتاج نظائر طبية لاستعمالها في الغواصات النووية.⁷⁹ – فإن هذه ستكون خطوات ذات مخاطر كبيرة، مما يرفع الرهانات بحدوث مواجهة عسكرية.

ب. مقارنة مختلفة؟

إن احتمالات انهيار المفاوضات تبقى مرتفعة، حيث أن الطرفين يبدوان متمسكين بمواقفهما وإستراتيجيات المساومة التي يتبعانها. إلا أن عواقب مثل ذلك الانهيار غير مؤكدة ويمكن أن تكون شديدة. بدلاً من محاولة كسب الوقت، ينبغي على جميع الأطراف بذل الجهود للتوصل إلى اتفاق مؤقت يركز على التخصيب إلى درجة 20% والبناء على الاعتبارات التالية:

□ **فيما يتعلق بصيغة المفاوضات:** رغم أن الاجتماعات التي عقدت في بغداد واسطنبول وفرت فرصاً للطرفين للتعرف على وجهات نظر بعضهما البعض، فإنه لم يحدث أي عملية مساومة، حيث أن الطرفين كررا بشكل عام مواقفهما السابقة التي عبرا عنها في الجلسات المفتوحة.⁸⁰ كما أن إيقاع الاجتماعات إشكالي؛ حيث يكون هناك مواجهات رفيعة المستوى تدوم لمدة يوم أو يومين، تتبعها فترات طويلة نسبياً من الفراغ الدبلوماسي الذي يملؤه عادة استعراض المواقف السياسية. ثمة بديل يتمثل بأن تعقد إيران ومجموعة I+5 اجتماعات أكثر استدامة للخبراء السياسيين والتقنيين للسماح بإيجاد مناخ أقل توتراً. رغم أن المسؤولين الغربيين يخشون من أن تستغل إيران مثل تلك المواجهات لكسب الوقت وإطالة أمد العملية، فإنه يمكن أن تعقد بشكل مستمر مع وجود موعد نهائي بعد عدة أشهر. وبموازاة ذلك، يمكن لمجموعة I+5 وإيران أن تشكلا مجموعات عمل

ثمة إشارات أصلاً على تصاعد التوتر في أعقاب اجتماعات بغداد. تبنى المسؤولون الإيرانيون خطأً أكثر تشدداً وتراجعوا عن تصريحاتهم حول الحد من التخصيب إلى درجة 20%،⁷³ في حين تحدث المسؤولون الأمريكيون والإسرائيليون عن تصعيد الضغوط.⁷⁴ مع اقتراح موعد فرض العقوبات على النفط الإيراني وعلى المصرف المركزي الإيراني، فإن الجو في طهران بدأ بالتبدل بشكل واضح. العديد من المسؤولين، الذين كانوا في الماضي يأملون بتحقيق اختراق، باتوا يعبرون بصراحة عن تشاؤمهم الآن.⁷⁵ في مقال افتتاحي، ألمحت صحيفة *كيهان*، المعروفة بأنها تعكس وجهات نظر المرشد الأعلى، إلى أنه في غياب أي حوافز حقيقية، ينبغي أن تتسحب إيران من المفاوضات كي تحرم الغرب من مزايا الدبلوماسية، خصوصاً انخفاض أسعار النفط.⁷⁶

لا ينبغي للمرء أن يستبعد احتمال ردود فعل انتقامية من قبل إيران إذا انهارت المفاوضات وفرضت عقوبات جديدة. بالنظر إلى أن إيران تواجه عقبات حقيقية في الحصول على المواد الضرورية لبناء أجهزة الطرد،⁷⁷ فإن الخيارات التي تبقى متاحة لإيران تتضمن الانسحاب

February 2006; and Crisis Group Report, *Dealing with Iran's Nuclear Program*, op. cit.

⁷³ في نيسان/إبريل 2012، ألمح فريدون عباسي، رئيس هيئة الطاقة الذرية الإيرانية، الذي نجا من محاولة اغتيال عام 2010، إلى استعداد إيران لوقف التخصيب إلى درجة 20% بعد تلبية احتياجات مفاعلها البحثي من الوقود. على النقيض من ذلك، ففي أيار/مايو أعلن أن ما من سبب يدعو لوقف إنتاج اليورانيوم. انظر -Iran produces 20-percent-enriched uranium based on needs: Official", Press TV, 9 April 2012; Thomas Erdbrink, "After talks falter, Iran says it won't halt uranium work, *The New York Times*, 27 May 2012.

⁷⁴ انظر رويترز، 4 حزيران/يونيو 2012. كما رفضت الولايات المتحدة تماماً مقترح المبعوث الخاص للأمم المتحدة والجامعة العربية كوفي أنان انضمام إيران إلى مجموعة الاتصال حول سورية.
⁷⁵ الرئيس الإيراني السابق ورئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام، أكبر هاشمي رفسنجاني، قال، "تم بناء تفاؤل زائف بعد محادثات اسطنبول. كنا نريد أن نظل متفائلين، والغربيون أيضاً كانوا بحاجة للتحدث بشكل إيجابي بسبب مشاكلهم الاقتصادية. حاول الطرفان تصوير مناخ إيجابي تبين أنه زائف تماماً في بغداد"، *Jomhuri Islami newspaper* (in Persian), 29 May 2012. كما عبر الرئيس أحمددي نجاد أيضاً عن تشككه في مقابلة مع تلفزيون فرنسا 24 قائلاً: "لسنا حمقى. لا نتوقع معجزات في الاجتماع القادم"، John Irish, "Ahmadinejad sees no breakthrough at Moscow talks", Reuters, 30 May 2012.

⁷⁶ في حزيران/يونيو، انخفض سعر النفط إلى أقل من 100 دولار للبرميل – وهو الأقل خلال مدة سبعة عشر شهراً – ما زاد في الصعوبات التي تواجهها إيران في تحقيق التوازن في ميزانيتها، التي تستند إلى سعر 117 دولار للبرميل للنفط. رويترز، 11 حزيران/يونيو 2012. وأضافت *كيهان*: "ما نستطيع أن نراه هو أن الغرب يسعى إلى المفاوضات من أجل المفاوضات، وليس لحل المشاكل بين الطرفين وإذابة (الجليد المصطنع) الذي أوجدته ونشرته خلال العقد الماضي حول برنامج إيران النووي"، Hossein Shari atmadari, ["The solution is to stop negotiating"], *Kayhan* (in Persian), 26 May 2012.

⁷⁷ لم تتمكن إيران من تركيب الأجهزة الدوارة في منات أغلفة أجهزة الطرد المركبة. ويعود ذلك بشكل أساسي إلى عدم قدرتها على الحصول

على المواد اللازمة لبناء أجهزة الطرد نتيجة الضوابط الصارمة المفروضة على الصادرات. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع خبير في حظر الانتشار، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012؛ انظر أيضاً "Implementation of the NPT Safeguards Agreement and relevant provisions of Security Council resolutions in the Islamic Republic of Iran", IAEA, Report by Director General, GOV/2012/9, 24 May 2012; David Albright, Andrea Stricker, and Christina Walrond, "ISIS Analysis of IAEA Iran Safeguards Report", Institute for Science and International Security, 25 May 2012.

⁷⁸ رغم الاكتشافات الأخيرة لجزئيات يصل مستوى تخصيبها إلى 27% تُشير على الأرجح، من وجهة نظر الخبراء، إلى خطأ تقني ارتكبه الإيرانيون، فإنها تشير من جهة أخرى إلى أن الخطوة التصعيدية التالية من قبل إيران قد تكون التخصيب إلى مستويات أعلى. انظر وكالة الصحافة الفرنسية، 25 أيار/مايو 2012؛ رويترز، 25 أيار/مايو 2012.
⁷⁹ انظر على سبيل المثال، "Iran plans nuclear-powered submarine", Reuters, 13 June 2012.

⁸⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012.

للتحقق، حيث أنها تفتقر إلى المفاعلات المصممة خصيصاً لهذه الغاية. هذه الصفقة ستزود إيران بالتكنولوجيا النووية المتقدمة لأغراضها المعلنة التي تتمثل في إنتاج الوقود وفي نفس الوقت تعالج قضايا هامة تتعلق بحظر الانتشار النووي.

□ فيما يتعلق بقضية فوردو: من الصعب في هذه المرحلة تخيل أن إيران ستوافق على إغلاق منشأة تخصيب في فوردو.⁸⁴ رغم ذلك، فقد يكون من الممكن لها أن تجمد تركيب أجهزة الطرد الجديدة في المنشأة والموافقة على استعمال المركز بشكل حصري لأغراض الأبحاث والتطوير. بالنظر إلى حجمها الصغير، فإن بوسع الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن تتأكد بسهولة مما إذا كان هناك أي أنشطة سرّية تحدث هناك بتركيب كاميرات وزيادة عدد الزيارات. وينبغي أن تكون المراقبة الصارمة مطلوبة في المنشآت الأخرى.⁸⁵ كضمانة إضافية، على إيران أن تنفذ البند 3.1 المعدل، الذي يتطلب إبلاغ الوكالة بأي منشأة نووية جديدة عندما يتم اتخاذ القرار بينها. وكلفتة مقابلة، على مجموعة I+5 الموافقة على اتخاذ خطوات بشأن العقوبات كما هو مفصل أدناه.

□ فيما يتعلق بقضية العقوبات: رداً على الخطوات الإيرانية المفصلة أعلاه، ومع الأخذ بعين الاعتبار الوقائع السياسية - خصوصاً في الولايات المتحدة - على الدول الغربية أن تكون مستعدة للإحجام عن أية عقوبات إضافية وتخفيف بعض العقوبات القائمة أو تعليقها.⁸⁶ من بين الخطوات الممكنة التي

لمناقشة قضايا أخرى ذات اهتمام مشترك - مثل الأمن الإقليمي، وحقوق الإنسان والجهود المبذولة لمكافحة المخدرات.

□ فيما يتعلق بالتخصيب إلى درجة 20%: بالنظر إلى أن إيران أنتجت أصلاً نفس الكمية تقريباً من المواد الانشطارية التي سعت لشرائها من الأسواق الدولية عام 2009 (حوالي 120 كيلو غرام)، فإنها ينبغي أن تكون مستعدة لتعليق مثل تلك الأنشطة وتحويل كل مخزونها من سداسي فلورايد اليورانيوم المخصب لدرجة 20% إلى كريات ثاني أكسيد اليورانيوم المستعملة في تصنيع الوقود النووي.⁸¹ سيشكل هذا الوضع مكسباً للجميع، من حيث أنه سيقطع بشكل كبير مخاطر الانتشار النووي - حيث أن تحويل ثاني أكسيد اليورانيوم إلى سداسي فلورايد اليورانيوم الغازي الصالح للتخصيب إلى درجة صنع الأسلحة هي عملية طويلة ومضنية وتتطلب شهوراً من إعادة المعالجة الكيميائية - في حين يسمح ذلك لإيران بالمحافظة على مخزونها في البلاد.⁸²

بالمقابل، فإن مجموعة I+5 ستزود إيران بالنظائر الطبية اللازمة لمعالجة 850 ألف مريض بالسرطان في إيران وكذلك بأحدث تكنولوجيات الوقود النووي.⁸³ رغم أن إيران حققت تقدماً في تحويل اليورانيوم المخصب لديها إلى قضبان وقود للاستعمال في مفاعلها البحثي، فإنها لا تستطيع اختبار مستوى الأمان فيها بشكل قابل

⁸¹ يبدو كلا الطرفين راغبين بمثل هذه المحاولة. من شأن تحويل

مخزون إيران من المواد الانشطارية إلى قضبان الوقود أن يخفف من المخاوف الأمريكية والأوروبية فيما يتعلق باحتمال تحقيق اختراق نووي إيراني سريع. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، واشنطن دي سي، حزيران/يونيو 2012. بالنسبة لإيران، فإنها قدمت عرضاً مشابهاً يتعلق بمخزونها من اليورانيوم المخصب إلى درجة 3.5% عام 2005 وطبقاً لتقرير حديث للوكالة الدولية للطاقة الذرية، فإنها بدأت بتحويل ثلث مخزونها من اليورانيوم المخصب إلى درجة 20% إلى كريات وقود. انظر

Jonathan Tirone, "Iranian decision to convert 20 per cent-uranium may be good news", Bloomberg, *BusinessWeek*, 5 June 2012.

⁸² إحجام إيران عن مبادلة اليورانيوم المخصب بقضبان الوقود يعكس جزئياً غضبها إزاء الاتفاقات التي لم يتم احترامها في الماضي. زد على ذلك أن تصنيع إنتاج قضبان الوقود يستغرق وقتاً. على حد تعبير السفير السلطانية، "فيما يتعلق باحتمال وجود عملية تبادل أخرى، من المهم ملاحظة أن الأمر يستغرق عاماً كي تقوم دول مجموعة I+5 بتحويل اليورانيوم المخصب إلى درجة 20% الموجود لدينا إلى قضبان وقود. ما نزال لا نثق بهم. الولايات المتحدة ترفض تسليم الوقود الذي دفعنا ثمنه 2 مليون دولار قبل الثورة. والفرنسيون يرفضون تسليم 50 طناً من اليورانيوم الطبيعي العائد إلينا والموجود بحوزتهم الآن. إذا كان الماضي مقدمة، كيف لنا أن نثق بهم في عملية مبادلة اليورانيوم المخصب الذي نمتلكه؟" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، فيينا، 16 أيار/مايو 2012. لمراجعة قائمة بالمظالم الإيرانية، انظر، "The root causes of Iran's confidence deficit vis-à-vis some Western countries on assurances of nuclear fuel supply", IAEA INFCIR 785, 2 March 2010.

⁸³ يمكن فعل ذلك بسرعة؛ وقد يكون المصدر المرجح لذلك هو كندا، إحدى الدول الرئيسية المنتجة للنظائر الطبية.

⁸⁴ في أواخر عام 2011 وربما استباقاً للتوصل لاتفاق حول تخصيب اليورانيوم إلى درجة 20%، عدلت إيران استبيان معلومات التصميم لمنشأة فوردو من الإنتاج الحصري لليورانيوم المخصب إلى درجة 20% إلى التخصيب إلى درجة 20 و5% على حد سواء. من المرجح أن هذا التغيير كان مصمماً لإبقاء المنشأة مفتوحة في حال توقف إيران عن التخصيب إلى مستويات أعلى. انظر "Implementation of safeguards in Iran: GOV/2011/65", Director General of the IAEA, 8 November 2011.

⁸⁵ إلى أن تسوي إيران جميع القضايا العالقة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، هناك ما يبرر الإصرار على وجود نظام مراقبة صارم وتعزيز الضمانات بشكل يذهب أبعد من نظام البروتوكول الإضافي الحالي الطوعي المرفق بمعاهدة حظر الانتشار النووي. ثمة اقتراح قدمه خبير يتمثل في تنفيذ "بروتوكول تكميلي مؤقت نموذجي لتطبيق ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية في دولة غير ملتزمة"، يعالج نقاط ضعف معينة في البروتوكول الإضافي. على سبيل المثال، فإن البروتوكول الإضافي لا يحدد مواعيد نهائية للدول للرد على طلبات الوكالة بتقديم معلومات أو توضيحات. وعلى نحو مماثل، فإن حقوق النفاذ إلى المواقع غير المعلنة يمكن تأخيرها بسهولة. أضف إلى ذلك أن البروتوكول لا يتضمن بنداً يتعلق بحق الوكالة بالوصول إلى الأشخاص الذين ترغب بمقابلتهم. انظر Pierre Goldschmidt, "IAEA Safeguards: Dealing preventively with non-compliance", Carnegie Endowment for International Peace, 12 July 2008.

⁸⁶ روبرت رايت لاحظ قائلاً: "إذا استطعنا التوصل إلى حصيلة إيجابية من هذه المحادثات دون أي رفع للعقوبات فذلك حسن. لكن إذا فشلت المحادثات وكان رفع بعض العقوبات يمكن أن ينفذها، فإن ذلك سيكون كما لو أن بيل غيتس ترك العالم ينهار لأن إنقاذه سيكلف 10 آلاف دولار. يمكننا تخفيف بعض العقوبات كي نحصل على مزيد من التنازلات

يمثل مجالاً آخر، سيعالج في نفس الوقت احتياجات إيران من الطاقة ومزاعمها بأن الغرب يحرّمها من الوصول إلى التكنولوجيا. كما أن ذلك سيمثل سابقة لدول أخرى تطمح في امتلاك الطاقة النووية.

فيما يتعلق بحق إيران بالتخصيب: في حين أن الاعتراف القانوني بحقوق إيران النووية بموجب معاهدة حظر الانتشار النووي ليس واقعياً قبل أن تصادق الوكالة الدولية للطاقة الذرية على الطبيعة السلمية لبرنامجها النووي، ينبغي على مجموعة I+5 أن تنقل إلى طهران رسالة واضحة مفادها أنه حالما يتحقق ذلك الشرط سيكون من حقها التخصيب على أراضيها تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية.⁹¹ وإلى أن يتم الوصول إلى تلك المرحلة، على مجموعة I+5 تقديم اعتراف بذلك الحق بحكم الأمر الواقع، لكن ضمن قيود معقولة تتضمن، بين أشياء أخرى، وضع سقف لمستوى النقاء (5%)، والحد من عدد المنشآت واقتصرها على ناتانز وفوردو، وتجميد عدد أجهزة الطرد التي تحتويها لفترة زمنية يتفق عليها ووضع نظام مراقبة صارم من قبل المفتشين النوويين التابعين للأمم المتحدة.⁹² كل المؤشرات – من التصريحات البلاغية؛ إلى المشاكل التي تنطوي عليها المحادثات بين الوكالة الدولية للطاقة الذرية وإيران؛ إلى القيود السياسية سواء في واشنطن أو طهران؛ إلى التلميحات بأن المفاوضات الجارية ستوقف قريباً – تُشير إلى الاتجاه الخطأ. كالمعتاد، من الأسلم كثيراً المراهنة على الانهيار من المراهنة على تحقيق اختراق. لكن هناك كلفة حقيقية لإعلان الفشل. وهذه الكلفة سترتفع مع كل محاولة أو (في محاولة فاشلة) لإطلاق عملية دبلوماسية، مع تراجع احتمالات التوصل إلى اتفاق ومع تنامي الإغراء المتمثل باللجوء إلى بديل يتمثل في مواجهة خطيرة.

واشنطن/ فيينا/ بروكسل، 15 حزيران/يونيو 2012

يمكن للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي النظر فيها من أجل إظهار التزامهما برفع العقوبات في النهاية إذا تعاونت إيران هناك الخطوات التالية: تأجيل الحظر النفطي الذي سيفرضه الاتحاد الأوروبي، و/أو الحظر الذي يفرضه على تأمين شحنات النفط الإيراني؛⁸⁷ وإذا كان قد دخل حيز النفاذ، إنهاؤه؛⁸⁸ وتخفيض السقف للاستثناءات الأمريكية على ما تبقى من الدول التي تشتري النفط الإيراني.⁸⁹

فيما يتعلق بحوافز غربية محتملة: إن أكثر الحوافز واقعية وأهمية لا تتعلق بقطع تبادل الطائرات أو التعاون حول السلامة النووية، بل تتعلق بقطاع الطاقة. إن الاستثمار الغربي في مفاعل بحثي جديد سيكون ذا معنى، بالنظر إلى أن مفاعل طهران البحثي عمره 45 عاماً وتخطى فترة حياة منشآت شبيهة؛ وسيؤشر ذلك على التزام بعيد المدى واعترافاً بحقوق إيران بالحصول على الطاقة النووية السلمية.⁹⁰ كما أن الاستثمار في التكنولوجيا الحديثة المتعلقة بالطاقات المتجددة

الإيرانية وفي نفس الوقت يبقى هناك الكثير من العقوبات المؤلمة التي يمكن أن تستعمل". انظر

Pierre Goldschmidt, "IAEA Safeguards: Dealing preventively with non-compliance", Carnegie Endowment for International

Peace, 12 July 2008.

⁸⁷ في حين أن 85% من الحظر النفطي قائم فعلياً، فإن حظر التغطية التأمينية من قبل الاتحاد الأوروبي، الذي يهيمن على سوق التأمين العالمي، سيكون له أثرٌ مدمر. إنه سيؤثر سلباً على تجارة النفط الإيرانية العالمية بجعل عمليات الشحن مسألة خطيرة، وغياب كمية أكبر من النفط عن الأسواق الدولية مما استهدفته العقوبات نفسها وبالتالي رفع أسعار النفط. مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات مع خبير في الطاقة، طهران، أيار/مايو 2012. إلا أن مسؤولي الاتحاد الأوروبي أشاروا قبل محادثات موسكو إلى أن إلغاء أو تأجيل الحظر على تأمين السفن كان أمراً غير محتمل. رويترز، 13 حزيران/يونيو 2012.

⁸⁸ دبلوماسي أوروبي قال، "إذا كان الإيرانيون أذكاء، فإنهم سيقدمون شيئاً فيما يتعلق بالـ 20%، مثل تعليق الإنتاج وترحيل المخزون الموجود، ومن ثم طلب تأجيل العقوبات التي ستفرض في تموز/يوليو لنقل لمدة ستة أشهر. ولن يكون هذا أمراً خطيراً بالنسبة لنا، لأنه سيشير عن التخصيب إلى درجة 3.5%، لكنه سيكون مقترحاً يصعب رفضه. في الحد الأدنى، يمكن لذلك أن يُحدث انقساماً بين أعضاء مجموعة I+5". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، أيار/مايو 2012.

⁸⁹ لقد أعفت الولايات المتحدة أصلاً ثمانية عشر دولة تشتري النفط الإيراني من عقوباتها نتيجة قراراتها بتخفيض مشترياتها من إيران بشكل كبير، تطبيقاً للبند (1)(d) 1245 من قانون المخصصات الدفاعية القومية للعام 2012. انظر "Statement on Significant Reductions of Iranian Crude Oil Purchases", U.S., Department of State, 11 June 2012. تتمتع الإدارة الأمريكية بالمرونة في تنفيذ هذه العقوبة بوجه خاص، حيث أن التشريع لا يُعرّف ما يعنيه "التخفيض الكبير" في مشتريات النفط. رغم ذلك، فإن مجلس الشيوخ الأمريكي طلب من وزارة الخزانة تعريفه بأنه يمثل التخفيض بدرجة 18% مقارنة بفترة الأشهر الستة التي كانت تستعمل في الماضي استناداً إلى السعر الإجمالي المدفوع (وليس الكمية).

Ken Katzman, "Iran's sanctions", op. cit.

⁹⁰ يُسمح بهذا الاستثمار بموجب قرارات مجلس الأمن، التي تُعفي التكنولوجيا المتعلقة بالمفاعلات التي تستعمل الماء الخفيف من العقوبات.

⁹¹ يبدو أن ذلك مطلب إيراني لا تتزحزح عنه إيران. يُذكر أن آية الله خامنئي قال مرة، "سأستقيل إذا حُرمت إيران لأي سبب من حقوقها بالتخصيب". مقتبس في Hossein Mousavian in "The Iranian Nuclear Crisis: A Memoir", Carnegie Endowment for International Peace, June 2012.

⁹² لقد نقل المسؤولون الإسرائيليون رسائل مختلطة حول ما إذا كانوا سيقبلون بصفقة تستمر بموجبها إيران بالتخصيب إلى درجة 3.5%. مسؤول سابق قال، "الموقف الرسمي لإسرائيل يجب أن يكون رفض أي تخصيب من قبل إيران، لأن التخصيب إلى درجة 3.5% يمكن أن يصبح 90% دون معرفة أحد. وهكذا، يجب أن تصر إسرائيل على هذا من حيث المبدأ. هل هذا عملي؟ لا. أعتقد أن العالم قد يمنحهم بعض القدرة على التخصيب. يمكن للعالم أن يفعل ما يشاء، حتى لو قالت إسرائيل إن هذا موقف مبدئي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، حزيران/يونيو 2012.